

حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ
فَبَلَّغُوا تَحَاسِبُوا

تأليف
عبد الحميد كسك

المكتبة التوفيقية
لحام قلب الأخضر - سيناء الحين

﴿مقدمة الكتاب﴾

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين،
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا محمداً رسول الله.
أما بعد...

فقد كان فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول:
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإن مما
يهون عليكم الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض
الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾^(١).

رحمك الله يا أمير المؤمنين فانت الرجل الذي ضرب الله الحق على
قلبه ولسانه، يا من كنت تخاف من الله تعالى خوف من يعتقد أن النار
لم تخلق إلا له وحده فمن خاف سلم، لقد غصت في معاني آيات
الحساب حتى بلغت إلى أعماق الأعماق وجرى دمك على خديك
وخفق قلبك وجللاً وخوفاً من لقاء الله تعالى، وفهمت أن لقاء الله حق،
واعتقدت أن البعث حق وأن الساعة حق وأن الجنة حق وأن النار حق،
فصمت عن الدنيا وأفطرت على الموت وأعددت الزاد لليلة صبحها يوم
القيامة.

(١) سورة الحاقة الآية ١٨.

يا رافعاً راية الشورى وحارسها
جزاك ربك خيراً عن مُحِبِّبِهَا
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يُشَقِّبِهَا
إن جاع في شدة قوم شَرِكْتَهُمْ
في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة - والدنيا بقبضته -
في الزهد منزلة سبحان موليتها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته
أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم انتهت روجه الحُلُوَّى فقال لها:
من أين لي ثمن الحُلُوَّى فَأَنْتَرِبِهَا؟
مازاد عن قوتنا فالمسلمون به
أولى فقومي لبيت المال رُدِّيْهَا
كذلك أخلاقه كانت وما عُهُدَتْ
بعد النبوة أخلاق تحاكبها
وراع صاحب كسرى أن رأى عُمرًا
بين الرعية عَطْلًا وهو راعبها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
ببردة كاد طول العهد يلبسها
وعهده بملوك الفرس أن لها
سُورًا من الجند والأحراس يحميها

رأه مستغرقاً في نومه فرأى
فيه الجلالة في أسمى معانيها
وقال قَوْلَةً حقَّ أصبحت مثلاً
وأصبح الجليل بعد الجليل يرويهما
أمنت لما أقمت العدل بينهم
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هَانِيَهَا
قد كنت أعدى أعاديتها فصرت لها
بتعمة الله حصناً من أعاديتها

أيها الأخ المسلم

لا تنس ما بعد الموت، فسيانه ضلال مبين، فاذا ذكر اثنين وانس
اثنين، ولا تنهر اثنين واحفظ اثنين ولا تأمن اثنين على اثنين.
اذكر الله والموت، وانس إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك،
ولا تنهر أمك ولا أباك، واحفظ صمتك وأوقات فراغك، ولا تأمن امرأة
على سر، ولا تأمن رجلاً على امرأة.
واعمل عقلك وقلبك وفكرك في فهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا
يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١).

(١) سورة الحشر الآيات [١٨ : ٢٠].

فصل

مما يرقى القلب ويملؤه خشوعاً وخشية لله تعالى

حمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام
نبي الله وآله والمرسلين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله وأشهد أن محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.
وعظمنا وحبيبتنا محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.
وعلى آله وصحبه الغفر
واللهم مشايخنا، ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين

الذي لا تدركه الأوهام ولا الظنون ولا تحويه الأبصار ولا
تتاله الآفات ولا المتون، الذي أنزل الكتاب المكنون وأرسل
الروح الامنة وأخرج رطب الثمار من يابس الغصون وخلق الإنسان
من محض من حملاً منون وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

تدبرته الأشياء وتوالت برحمته الآلاء وانشقت بحكمته
الأمم واسماء، وكب بمشيئته السعادة والهناء فیرحم من عباده من يشاء
والشافى صدر أولى الألباب النافى باتقان مصنوعات كل
شيء ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر

تدبرته أصناف المبتدعات، وقدر الأشياء من ماضٍ وآتٍ وغفر
بالكتاب الخليلات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
سيئاتهم ويعلم ما تفعلون^(٢) مبدع الدهور بالأحداث ومصور الذكور
والإناث من في القبور فينهضون بالانبعاث ونفخ في الصور
فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون^(٣).

(١) سورة المدثر الآية ٢٠. (٢) سورة القصص الآية ٢٥.
(٣) سورة النمل الآية ٥١.

﴿وجعل الشمس سراجاً﴾^(١) ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء
تجاجاً﴾^(٢). ﴿ولو نشاء لجعلناه جاجاً فلولا تشكرون﴾^(٣).

الكریم الشکور الرحیم الغفور المتز في أقضيته عن أن يظلم أو
يجور ﴿الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون﴾^(٤). مالك الأشياء بالطول والعرض وقبل
من عباده السن والفرض وإليه المآب والعرض. ﴿وله من في السماوات
والأرض كل له قانتون﴾^(٥).

أتقن خلق الإنسان وأبدع وركب فيه حركاته وأودع ﴿وهو الذي
أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع. قد فصلنا الآيات لقوم
يفقهون﴾^(٦). أوضح سبيل الرشاد وبين مسالكه، وأسبغ على العباد نعمه
المتداركة ونور وجوه الموحدين فهي مسفرة ضاحكة ﴿لا يحزنهم الفزع
الأكبر وتتلقاهم الملائكة. هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾^(٧)!!

أرسل من المعصرات الماء إلى الأرض، وأنزل وأسبغ بفضل الآلاء،
وحول وقضى على خلقه بما شاء وأجزل. ﴿لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون﴾^(٨). أتقن صنعة خلق العالم وأحكم وجاد عليهم بفائض رزقه،
وأنعم ويدرك بهم السر المكنون المبهم ﴿لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما
يعلمون﴾^(٩). رب المشرقين ورب المغربين ومنور الكون بالنيرين ﴿ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾^(١٠) أفاض على أوليائه من
جزيل نعمائه فضلاً ونوالاً وأعد لأعدائه من عذابه وبالاً ونكالاً وحجبهم

(١) سورة نوح الآية ١٦. (٢) سورة النبا الآية ١٤.
(٣) سورة الواقعة الآية ٧٠. (٤) سورة الأنعام الآية ١.
(٥) سورة الروم الآية ٢٦. (٦) سورة الأنعام الآية ٩٨.
(٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٣. (٨) سورة الأنبياء الآية ٢٣.
(٩) سورة النحل الآية ٢٣. (١٠) سورة الذريات الآية ٤٩.

عن إدراكه فلا يتوهمون له شيئا ولا مثالا ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾^(١).

ليس كمثله شيء ولا لنشر فضله طي ولا يعتري المهتدى إلى سبيله في... ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾^(٢) أحمدته حمدا يتقرب به المتقربون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي العربي الأمين المأمون... صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

وبعد : فهذه ذكرى وغبر، والذكرى تنفع المؤمنين .

فصل

إياك والجبين وكن شجاعا واعلم بأنه

لا يملك الروح والرزق إلا الله تعالى

وعن هذا الداء الخطير وهو الجبن نقتطف كلمات للإمام الشيخ

محمد عبده :

يقول رحمه الله تعالى : ما العلة في إخلاد الجمهور الأعظم من بنى الإنسان إلى دنيا المنازل وقصورهم عن الوصول إلى ما أعدته لهم العناية ويستفزههم إليه الميل الغريزي خصوصا وإن كانت النفوس مؤمنة بعدل الله مصدقة بوعدده ووعيده ترجو ثوابا على الباقيات الصالحات وتخشى عقابا على ارتكاب الخطيئات... وتعترف بيوم العرض الأكبر

(١) سورة النحل الآية ١ .

(٢) سورة الروم الآية ١٩ .

يوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾^(١).

ماذا يقعد بالنفوس عن العمل الصالح ؟

ماذا يتحدر بها في مزالق الزلل ؟

إذا ردت المسيبات إلى أسبابها وطلبت الحقائق من حدودها ورسومها : وجدنا لهذا علة هي أم العلل، ومنشأ يقرن به كل جلل وهو (الجبين) . . . وعن أضرار الجبن قال : «الجبن هو الذي أوهى دعائم الممالك فهدم بناءها» .

هو الذي قطع روابط الأمم فحل نظامها . هو الذي أوهن عزائم الملوك فانقلبت عروشهم، وأضعف قلوب العالمين فسقطت بروجهم وهو الذي يغلق أبواب الخير في وجوه الطالبين ويطمس معالم الهداية عن أنظار السائرين.

يسهل على النفوس احتمال المذلة، ويخفف عليها مضض المسكنة، ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل، يوطن النفس على تلقى الإهانة بالصبر والتذليل وبالجلد ويوطئ الظهور الجائفة لأحمال المصاعب أثقال عما كن يتوهم عروضه عند التحلى بالشجاعة والإقدام .

والجبين : يلبس النفس عارا عند كل روح زكية وهمة عالية.

والجبين : مرض من الأمراض الروحية يذهب بالقوة الحافظة للوجود التي جعلها الله ركنا من أركان الحياة الطبيعية . وله أسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرأينا جميعها يرجع إلى الخوف من الموت .

والموت : مأل كل حي ومصير كل ذي روح .

ليس للموت وقت يعرف ولا ساعة تعلم، ولكنه فيما بين النشأة ونزول العمر ينتظر في كل لحظة ولا يعلمه إلا مقدر الأجل . . جل

(١) سورة الزلزلة الآية [٧ - ٨] .

أرى نفس ما إذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض
تد الخوف من الموت إلى حد يورث النفس هذا المرض
المغفلة عن الصير المحتوم والذهول عما أعده الله للإنسان
ومساعدة الآخرة إذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت

الإنسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقياً للحياة وهو
مسيباً في الفناء يحسب الجاهل أن فى كل خطوة
أن فى كل خطوة خطراً مع أن نظرة واحدة لما بين يديه من
وما ناله طلاب المعالي من الفور بآمالهم، وما ذللوا من
لهم تكشف له أن تلك المخاوف إنما هى أوهام وأصوات
شياطين. غشيته فأدهشته، وعن سبيل الله صدته ومن

تنصبه صروف الدهر وغوائل الأيام لتغفل به نفوس
الأمم والشعوب. هو حباله الشيطان يصيد بها عباد الله
بيله.

كل رذيلة ونشأ لكل خصلة ذميمة لا شقاء إلا وهو مبداه
هو جرثومته ولا كفر إلا وهو باعته وموجه.

أعانت ومنقطع روابط الصلات، هازم الجيوش ومنكس
سلطين من سماء الجلالة إلى أرض المهانة!

الذى يحل الحائنين على الخيانة فى الحروب كما أنه
أيدى الأولياء لدينة الارتشاء، وأن الخوف من الفقر
إلى الخوف من الموت وهو علة الجبن.

وشرار على كل ذى فطرة إنسانية. خصوصاً الذين
سوله واليوم الآخر ويؤمنون أن ينالوا جزاء أعمالهم أجراً

واجب المسلمين

وعن واجب المسلمين قال: (ينبغي أن يكون أبناء الملة الإسلامية
بمقتضى أصول دينهم أبعد الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن) فإنها
أشد الموانع عن أداء ما يرضى الله وأنهم لا يتغنون إلا رضاه.

يعلم قراء القرآن أن الله قد جعل حب الموت : علامة الإيمان،
وامتنحن به الله قلوب المعاندين يقول فى ذم من ليسوا بمؤمنين: ﴿ألم تر
إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ (١).

الإقدام فى مسيل الحق وبذل الأموال والأرواح فى إعلاء كلمته،
أوسمة يتسم بها المؤمنون. لم يكتف الكتاب الإلهى بأن تقام الصلاة
وتؤتى الزكاة وتكف الأيدي، وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون
والكافرون والمنافقون، بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح فى إعلاء
كلمة الحق والعدل الإلهى بل عده الركن الوحيد الذى لا يعتمد بغيره عند
فقدته. لا يظن أنه يمكن الجمع بين الدين الإسلامى وبين الجبن فى قلب
واحد.

كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور
الإقدام، وأن عماده الإخلاص لله والتخلى عن جميع ما سواه
لاستحصال رضاه. المؤمن من يؤمن أن الأجل بيد الله يصرفها كيف
يشاء، ولا يفيد: التباطؤ عن الفروض زيادة فى الأجل ولا ينقصه الإقدام
دقيقة منه.

المؤمن من لا ينتظر بنفسه إلا إحدى الحسنين إما أن يعيش سيدياً
عزيزاً وإما أن يموت مقرباً سعيداً. وتصعد روحه إلى أعلى عليين
ويلتحق بالأكربين والملائكة المقربين.

... ما رأوا ما عاناه من مصاعب الحياة خلال ثلاث وعشرين سنة متتالية، لاقى فيها من الشدائد ما تنوء الجبال عن حمله في شتى مراحل الحياة. وأى موقف أشد من موقفه (يوم أحد) .. حين ولى المسلمون وسار وهو يصعد الجبل ورجال قريش يشتدون في تتبعه ... حتى كسرت رباعيته.

وأى موقف أشد هولاً من موقعة (يوم حنين) حين ولى المسلمون عماسية الصبح مولية الأدبار وهو ينادى في المسلمين (إلى أين ..؟ إلى أين ..؟ إلى ... إلى ...) حتى عادوا وحتى انتصروا.

وأى مجهود أشق من مجهود الرسالة والوحى، وهذا المجهود الموعود في المضى في اتصاله بسر الكون والملا الأعلى؟ «يا أيها المزمّل . ليلة الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه ورتل القرآن . إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً . إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم أثراً» (١١).

وهذا المجهود في تلقى أوامر الله والذي روى بسببه عن النبي ﷺ قال: (شيتى هود وأخوانها) .. قيل: وما شيتك فيهما قال: قوله «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا . إنه بما تعملون خبير» (٢).

رأى أصحاب رسول الله ﷺ هذا كله، ورأوه يحمل العبء صلياً لا يعرف المرض إليه طريقاً فإذا مرض بعد ذلك: فمن حق أصحابه ... ما فعلوا وأن يتمهلوا في السير من معسكرهم (بالخرف) إلى الشام حتى ... نفوسهم إلى ما يكون من أمر الله في نبيه ورسوله ﷺ.

وهذا حادث وقع جعلهم أشد خوفاً: فقد استيقظ رسول الله ﷺ ما بدا يشكو وطال أرقه وحدثه نفسه أن يخرج في ليل تلك الأيام

سورة الزمل الآيات [٦: ١].

سورة هود الآية ١١٢.

الريقة النسيم فيما حول المدينة .. وخرج ولم يستصحب معه أحداً إلا مولاه (أبا مويهبة) .

أفتدري أين ذهب؟

ذهب إلى (بقيع الغرقد) حيث مقابر المسلمين على مقربة من المدينة فلما وقف بين المقابر قال يخاطب أهلها: (هنيئاً لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن تقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولى).

وقد حدث «أبو مويهبة» أن النبي ﷺ قال له أول ما بلغنا (بقيع الغرقد): (إني أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع .. فانطلق) فلما استغفر لهم وأن له أن يؤوب: أقبل على «أبي مويهبة» فقال له:

(يا أبا مويهبة: إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها، ثم الجنة فخيرت بين ذلك بين لقاء ربي والجنة).

قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: (لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة).

أصبح رسول الله ﷺ في الغداة، ومر بعائشة -رضى الله عنها- فوجدها تشكو صداعاً في رأسها وتقول: وارساء! فقال لها: وقد بدأ يحس ألم المرض: بل أنا والله يا عائشة .. وارساء!

لكن شكواه لم يكن قد اشتد إلى الحد الذي يلزمه الفراش أو يحول بينه وبين ما عود أهله وأزواجه من تلطف.

وكررت عائشة -رضى الله عنها- - الشكوى من صداعها حين سمعته يشكو به فقال لها: (وما لو مت قبلي، فقممت عليك وكفتك وصليت عليك ودفنتك)؟

وآثارت هذه الملاحظة حب الحياة في نفس عائشة -رضى الله عنها-

فاجابت: (وليكن ذلك حظ غيري! والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك: لقد رجعت إلى بيتك فأعرست فيه ببعض نسائك). وتبسم النبي ﷺ.

فلما سكن عنه الألم بعض الشيء: قام بتفقد حال أهله، لكن الألم جعل يعاوده، فتزداد به شدته حتى إذا كان في بيت أم المؤمنين (ميمونة بنت الحارث) -رضي الله عنها- لم يطق، فغالبه الألم ورأى نفسه في حاجة إلى تمريض.

هنالك دعا نساءه إليه في بيت ميمونة واستأذنهن بعد أن رآين حاله أن يمرض في بيت عائشة وأذن له أزواجه في الانتقال.. فخرج عاصباً رأسه يعتمد في مسيرته على (علي بن أبي طالب) -كرم الله وجهه- وعلى عمه (العباس) وقدماه لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت (عائشة) -رضي الله عنها- وزادت به الحمى في الأيام الأولى من مرضه حتى لكان يشعر كأن به منها لها.

لكن ذلك لم يكن يمنعه ساعة تنزل به الحمى من أن يمشي إلى المسجد ليصلي بالناس. وظل على هذا عدة أيام لا يزيد على الصلاة ولا يقوى على محادثة أصحابه ولا خطابهم.

ولما اشتدت عليه الحمى أمر أزواجه أن يصبين عليه بعض قرب الماء.. ففعلن ذلك ثم قام فلبس ثيابه وعصب رأسه وخرج إلى المسجد وجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على أصحاب (أحد) واستغفر لهم وأكثر من الصلاة عليهم ثم قال: (أيها الناس انفضوا بعث «أسامة» فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إماره أبيه من قبله وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوا لخليقاً لها). ثم سكت هنيهة خيم الصمت على الناس أثناءها ثم عاد إلى الحديث فقال: (إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده.. فاختار ما عند الله)!!.

وسكت الرسول ﷺ من جديد، والناس كأنما على رؤوسهم الطير.. ولكن أبا بكر -رضي الله عنه- أدرك أن النبى ﷺ إنما يعنى

بهذه العبارة الأخيرة نفسه، فلم يستطع لرفة وجدانه وعظيم صداقته لرسول الله ﷺ أن يمسك عن البكاء فأجهش وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وإبنائنا!

وخشى رسول الله ﷺ أن تمتد عدوى التأثر من أبى بكر إلى الناس فأشار إليه قائلاً: (على رسلك!!) ثم قال: (إنى لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندى يداً منه وإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده).

ونزل الرسول ﷺ عن المنبر يريد أن يعود بعد ذلك إلى بيت عائشة على أنه لم يلبث أن التفت إلى الناس وقال: (يا معشر المهاجرين: استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون والأنصار على هيتها لا تزيد وإن كثروا عيتى «يعنى خاصتى وموضع سرى» التى أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم).

ودخل رسول الله ﷺ بيت عائشة رضى الله عنها. أى مجهود بذل في هذا اليوم ٢٠٠.

إنه الرسول الذى يشغله أكبر الشواغل. جيش «أسامة».. ومصير الأنصار من بعده.. ومصير هذه الأمة التى ربط الإسلام بأقوى الأواصر وأمن الروابط بينها. لذلك حاول أن يقوم فى غده ليصلى بالناس إماماً كعادته فإذا هو لا يقدر إذ ذاك قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). قالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن قال رسول الله ﷺ: (مروه فليصل بالناس).

تكررت عائشة -رضي الله عنها- وقالت: فلو أمرت عمر؟ فصاح رسول الله ﷺ والمرض يهزه: إنكن صواحب يوسف: مروه فليصل بالناس، وقام أبو بكر ف صلى بالناس إماماً!!.

وبلغت بالرسول ﷺ شدة المرض حداً أنه ذلك أن الحمى زادت به حتى لقد كانت عليه قطيفة فإذا وضع أرواجه وعواده أيديهم من فوقها شعروا بحر هذه الحمى المضيئة.

وكانت ابنته فاطمة تعود كل يوم وكان يحبها . . ذلك الحب الذي يمتلئ به وجود الرجل للابنة الوحيدة الباقية له من كل عقبه . . . لذلك كانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبلها واجلسها في مجلسه!! فلما بلغ منه المرض هذا المبلغ: دخلت عليه فقبلته فقال: (مرحباً يا ابنتي . .) ثم أجلسها إلى جانبه وأسر إليها حديثاً فبكت ثم أسر إليها حديثاً آخر فضحكت . . فسألتها عائشة في ذلك، فقالت: ما كنت أنسى سر رسول الله ﷺ . . فلما مات ذكرت أنه أسر إليها أنه سيقبض في مرضه هذا فبكت، ثم أسر إليها أنها أول أهله يلحقه فضحكت!! وكانوا لاشتداد الحمى به يضعون إلى جواره إناءً بارداً من ماء بارد، فما يزال يضع يده فيه، ويمسح بها على وجهه ﷺ.

وكانت الحمى تصل به حتى يغشى عليه أحياناً ثم يفيق وهو يعاني منها أشد الكرب . . حتى قالت فاطمة يوماً وقد هز الألم نفسها لشدة ألم أبيها . . وأكرب ابتاه!

فقال: (لا كرب على أبيك بعد اليوم)!

يريد أنه سيتنقل من هذا العالم: عالم الآسى والألم إلى الرفيق الأعلى من الجنة.

وتناقل الناس ما بلغ من اشتداد المرض بالنبي ﷺ حتى هبط «أسامة» وهبط الناس معه من (الجرف) إلى المدينة ودخل أسامة على النبي ﷺ في بيت عائشة -رضي الله عنها- فإذا هو قد أصمت فلا يتكلم، فلما أبصر أسامة جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على أسامة علامة الدعاء له.

المال الذي تركه النبي ﷺ: وما أثر عنه ﷺ أنه كان في بيته سبعة

دنائير أول ما اشتد به المرض خاف أن يقبضه الله إليه وما تزال باقية عنده . . فأمر أهله أن يتصدقوا بها . . لكن اشتغالهم بتمريضه وانقيام على خدمته واطراد المرض في شدته أنساهم تنفيذ أمره.

فلما أفاق يوم الأحد الذي سبق وفاته من إغمائه سألهم: ما فعلوا بها؟ فأجابت عائشة: إنها ما تزال عندها فطلب إليها أن تحضرها. ووضعها في كفه ثم قال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه 11؟ ثم تصدق بها جميعاً على فقراء المسلمين. وقضى رسول الله ﷺ ليله هادئاً مطمئناً نزلت عنه الحمى.

وبلغ من ذلك أن استطاع أن يخرج ساعة الصبح إلى المسجد عاصباً رأسه معتمداً على (علي بن أبي طالب) و(الفضل بن العباس) -رضي الله عنهما-.

وكان أبو بكر ساعته يصلي بالناس. فلما رأى المسلمون النبي ﷺ وهم في صلاتهم قد خرج إليهم: كادوا يفتنون فرحاً به فتفرجوا (أي وسعوا). . فأشار إليهم أن يشتروا على صلاتهم. وسر رسول الله ﷺ بما رأى من ذلك أكبر سرور واغتبط له أعظم الغبطة.

وأحس أبو بكر -رضي الله عنه- بما صنع الناس وأيقن أنهم لم يفعلوه إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه يريد أن يتخلى لرسول الله ﷺ عن مكانه. فدفعه الرسول ﷺ وقال له: (صل بالناس) وجلس هو إلى جنب أبي بكر -رضي الله عنه- فصلى قاعداً عن يمينه.

فلما فرغ من صلاته: أقبل على الناس رافعاً صوته حتى سمعه من كان خارج المسجد فقال: (أيها الناس: سمعوت النار وأقبلت الفتق كقطع الليل المظلم وإني والله ما تمسكون على شيء: إني والله لم أحل إلا ما أحل القرآن ولا أحرم إلا ما حرم القرآن لعن الله قوماً اتخذوا قبورهم مساجد).

ولقد عظم فرح المسلمين بما رأوا من مظاهر التقدم في صحة النبي

جنات نفسه
... وظله ...
بعد الهداية

لما وإرشاده
يوم الهجرة

فى وراء هذا
مرور نسمة

وينظر فوقه

قول المصاب.
العزة حيث
هم الخالدون.
مون^(١).

وأخلص العمل .. فإن النا
وخفف الحمل .. فإن العق
لقد مات خير خلق الله وه
الزاد الليلة صباحها يوم القيامة.
لقد انتقل سيد المرسلين ص
واعمل للدنيا بقدر مقامك
واعمل للآخرة بقدر بقاءك
واعمل للجنة بقدر اشتياقك
واعمل للنار بقدر صبرك عا
واعلم بأن من أراد مؤناً:
ومن أراد حجة فالقرآن يكفي
ومن أراد الغنى فالقناعة تكة
ومن أراد واعظاً .. فالمرور
ومن لم يكفه شيء من هذا

زيار
﴿يا أيها الناس اتقوا ربك
نرونها تذلل كل مرضعة عما
وترى الناس منكاري وما هم بسة
اعلم أخى أن القبر أول درجة
فعندما يموت العبد فإنه يضع
يدخل عالم البرزخ.
وعالم البرزخ: محيط أعنف

(١) سورة الحج الأيات [١] و [٢].

تصديقه وإلى الإيمان بأن
فكيف يموت وقد
الجهورى وإلى دعائه و
اصطفاه لتبليغ رسالت
(كسرى) وأن يدين له (ه
وكيف يموت وهو
متوالية وأحدثت فيه أعنف
النساء هناك مارلن
ههنا بالمجد ما فتى ي
موسى بن عمران، وبأن
المنافقون الذين سيضرب
!!

أى الأمرين يصدق
لقد أخذهم الفزع
عنه- تبعث إلى نفوسهم
أمانهم ويصورون منها لا
ولأنهم لذلك: إذ
الفادح وبصر بالمسلمين
إلى شيء، بل قصد إلى

فألقى النبى ﷺ مسجى فى ناحية من البيت عليه برد حيرة فأقبل حتى
كشف عن وجهه ثم أقبل عليه يقبله وقال: ما أطيبك حياً .. وما أطيبك
ميتاً. !!

ثم إنه أخذ رأس النبى ﷺ وسلم بين يديه وحقق فى معارف
وجهه وقال: (بابى أنت رامى! أما المودة التى كتب الله عليك فقد ذقتها
ثم لن تصيبك بعدها مودة أبداً).

من الشريف إلى الوسادة ورد البرد على وجهه وخرج
لنم الناس ويقنعهم بأن رسول الله ﷺ لم يموت وفتح
رضى الله عنه- طريفاً.

عمر ناداه: على رسلك يا عمرا أنصت! لكن عمر
ينصت واستمر يتكلم فأقبل أبو بكر -رضى الله عنه-
إليهم بأنه يكلمهم ... ومن ... كالأبى بكر فى هـ
الصديق صفى النبى ﷺ ومن لو اتخذ النبى خليفاً
ليلاً.

الناس إلى تلبية دعوته وانصرفوا إليه عن عمر.
ليه ثم قال:

من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان
حتى لا يموت). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا
من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
مبىه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾^(١).
-رضى الله عنه- قد أنصت حين رأت انصراف الناس

با بكر يتلو هذه الآية: خسر إلى الأرض .. ما تحمله
سول الله ﷺ قد مات .. وأما الناس فقد أخذوا من
قبل بأقوال عمر -رضى الله عنه- حتى لقد ألفوا أنفسهم إذ سمعوا هذه
الآية يتلوها أبو بكر كأنهم لم يكونوا يعلمون أنها نزلت .. وكذلك راي

القلوب كل شيء فـ
قد قبضه إليه !!
دعا الناس إلى مثل
كلا ..

(١) سورة آل عمران الآية

قال جل شأنه: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت.. قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(١). والبرزخ هنا: هو الحاجز الزماني الذي يفصل ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾^(٢). هذه الآية الكريمة جمعت الأزمان الثلاثة في جلال وجمال... جمعت الأزمان والآباد والآبادة.

﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث .. فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم .. ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم .. ومنكم من يتوفى .. ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة .. فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت، وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾^(٣).

نداء القبـر

أتدري - يا ابن آدم - ماذا يقول القبر بلسان حاله؟ إنه يتنادى ويخاطبك بكلمات ينفطر لها القلب وينخلع من هولها الفؤاد.
روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة، فجلس إلى قبر منها فقال: ما يأتى على هذا القبر يوم إلا وهو ينادى بصوت ذلق طلق: يا ابن آدم: نسيتنى ألم تعلم أنى بيت الوحدة؟ وبيت الغربة؟ وبيت الوحشة؟ وبيت الدود؟ وبيت الضيق؟ إلا

(١) سورة المؤمنون الآية ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨.

(٣) سورة الحج الآيات [٥ : ٧].

من وسعنى الله عليه؟ قال رسول الله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» - رواه الطبراني.
ولقد ركز رسول الله ﷺ تركيزاً قوياً على هذه الحقيقة العليا، وهى ذكر الموت، كما أخبرنا بذلك عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- قال:

أتيت انبى ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال:
يا نبى الله: من أكيس الناس، وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس.. ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» - رواه ابن أبى الدنيا.

وفى رواية ابن ماجه، لفظه: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أى المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً. قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً.. أولئك هم الأكياس». ولقد قلت لنفسى وأنا بين المقابر:

هل رأيت الأمن والراحة إلا فى الخفائر؟

فأشارت فإذا للدود عبث فى المحاجر

ثم قالت: أيها السائل إنى لست أدري

انظري: كيف تساوى الكل فى هذا المكان

وتلاشى فى نفايا العبد رب الصولجان!

والتقى العاش والغالى .. فما يفترقان!

أفهدا متتهى الأمر؟ فقالت: لست أدري

أيها القبر تكلم وأخبرينى يا رمام.

هل طوى أحلامك الموت وهل مات الغرام

من هو الميت .. من عام .. ومن مليون عام

أتمنى: أنتى أدري: ولكن لست أدري.

وروى مسلم عن جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «من من في الإسلام سنة حسنة: فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم .. ومن من في الإسلام سنة سيئة: كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

ما ينفعه من أعمال غيره

- يتساءل العلامة ابن القيم فيقول:
- هل تنفع أرواح الموتى بشيء من سعى الأحياء .. أم لا؟
ثم يجيب قائلا: إنها تنفع من سعى الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير. أحدهما: ما نسب إلى الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين له واستغفارهم له، والصدقة أو الحج أو يرى الإمام أحمد، ومعه جمهور السلف: وصول الصوم والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر.
وقد نص على هذا: الإمام أحمد في رواية محمد بن يحيى الكحال .. قال:

قيل لأبي عبد الله: الرجل يعمل الشيء من الخير: من صلاة أو صدقة، أو غير ذلك، فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه؟
قال: (الميت يصل إليه كل شيء: من صدقة أو غيره) وقال أيضا:
اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد وقل: اللهم إن فضله لأهل المقابر.
وهناك آراء أخرى في هذه المسألة، رأينا الإمساك عن ذكرها ..
نسير على القارئ.

الأدلة على ما سبق

الدليل على انتفاعه بما نسب إليه في حياته: ما رواه مسلم في

صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنها منه، فإنه هو الذي تسبب فيها.

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أكراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

وفي المسند عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «من من في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم .. ومن من في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وقد دل على هذا: قوله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» فإذا كان هذا في العذاب والعقاب، نفى الفضل والثواب أولى وأحرى.
ومن الأدلة كذلك: ما نطق به القرآن الكريم وأنت به السنة المطهرة ورآه الإجماع.

أما القرآن:

ف قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(١). فأنى الله سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء: إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة.

(١) سورة الحشر الآية ١٠.

وفي السنن:

من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قام النبي ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بأداء الثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجة وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار».

وفي السنن أيضاً عن وائلة بن الأسقع قام ﷺ على رجل من المسلمين فسمعه يقول: اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم».

ومن حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصين قت: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . . نسال الله لنا ولكم العافية».

وفي صحيح مسلم أن عائشة -رضي الله عنها- سألت النبي ﷺ كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: قل: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، فيرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» وفي صحيح مسلم أيضاً عنها -رضوان الله عليها- أن رسول الله ﷺ خرج في ليلتها من آخر الليل إلى البقيع

فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأناكم ما توعدون غدا مزجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل القبر».

وقد جاء أن الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: بدعاء ولدك لك.

وصول ثواب الصدقة

عقد العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى- فصلاً في ذلك فقال: وأما وصول ثواب الصدقة: ففي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افلكت نفسها ولم توصى وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم».

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ فتت: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبى مات وترك مالاً، ولم يوص فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم».

وفي السنن ومسنده أحمد عن سعد بن عبادة أنه قال: «يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال: الماء».

فحفر بئراً وقال: هذه لام سعد.

وعن عبد الله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر خمساً وخمسين، وأت عمرًا نال النبي ﷺ عن ذلك فقال: «أما أبوك فلو أقر بالترديد نصمت وتصدق عنه نفعه ذلك» - رواه الإمام أحمد.

وصول ثواب الصيام

قال العلامة ابن القيم رحمة الله عليه:

وأما الدليل على وصول ثواب الصوم إلى الميت فما روى في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام: صام عنه وليه».

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أمي ماتت وعليها صوم شهر.. أفأقضيه عنها؟ قال: نعم.. فدين الله أحق أن يقضى».

وفي رواية: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: أفرأيت لو كان على أمك دين فقبضته: أكان يؤدي ذلك عنها. قالت: نعم، قال فصومي عن أمك».

وهذا اللفظ للبخاري وحده تعليقا.

وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت فقال: وجب أجرك وردها عليك الميراث فقالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها، رواه مسلم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- «أن امرأة ركب البحر فنذرت إن الله لحجاها أن تصوم شهرا فنجأها الله، فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها أو أختها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تصوم عنها» - رواه أهل السنن والإمام أحمد.

وكذلك روى عنه ﷺ وصول ثواب بدل الصوم وهو الإطعام:

ففي السنن: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين» - رواه الترمذي.

قال الترمذي: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، والصحيح عن ابن عمر من قوله موقوفاً.

وفي سنن أبي دواد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إذا مرض الرجل في رمضان ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عنه قضاء وإن نذر: قضى عنه وليه».

وصول ثواب الحج

قال العلامة ابن القيم رحمة الله عليه:

وأما وصول ثواب الحج: ففي صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها. أأريت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فأن الله أحق بالقضاء».

وقد تقدم حديث بريدة وفيه: «إن أمي لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إن امرأة ستان بن مسلمة الجهني سألت رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزئ أن تحج عنها؟ قال: نعم. لو كان على أمها دين فقضته عنها ألم يكن يجزئ عنها» رواه النسائي.

وروى أيضاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن امرأة سألت النبي ﷺ عن ابنها مات ولم يحج قال: (حجي عن ابنك).

وروى أيضاً عنه قال: «قال رجل يا نبي الله إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه؟ قال: أأريت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فدين الله أحق».

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمته، ولو كان من أجنبي أو من غير تركته.

وقد دل عليه حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال له النبي ﷺ الآن بردت عليه جلده.

سؤال القبر

اتفق أهل السنة والجماعة: على أن كل إنسان يسأل بعد موته: قبر أم لم يقبر . .

فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو غرق في البحر: ليسل عن أعماله وجوزى بالخير: خيراً، وبالشر: شراً.

وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً . . قال ابن القيم: ذهب سلف الأمة وأئمتها إلى أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى: أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين وتعاد الأبدان مستفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال المروزي: قال أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد - عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: في عذاب القبر؟

فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها . . كلما جاء عن النبي ﷺ إسناده جيد أقرنا به إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه: رددنا على الله أمره . . قال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾^(١).

قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق . . يعذبون في القبور. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر وننكر ونكبر

وأن العبد يسأل في قبره . . . قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١) . . في القبر.

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله: تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ فقال: سبحانه الله . . نعم . . نقر بذلك ونقر له.

قلت: هذه اللفظة تقول: منكر ونكير هكذا؟ أو تقول: ملكين؟

قال: منكر ونكير.

قلت يقولون: ليس في حديث منكر ونكير.

قال: هو هكذا يعني أنهما منكر ونكير.

ثم يطرح العلامة ابن القيم في هذه القضية سؤالاً يقول فيه:

هل تعاد الروح إلى الميت في قبره وقت السؤال أم لا؟

ويجب قائلًا: فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة وأغتنا عن

أقوال الناس حيث صرح بإعادة الروح إليه: فقد قال البراء بن عازب.

كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعده وقعدنا حوله

كان على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر

ثلاث مرات ثم قال: «إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من

الدنيا: نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة:

أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة

من (في) السقاء - أي فمه - فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده

طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الخنوط،

ويخرج منها كأطيب نفحة منك وجدت على وجه الأرض قال:

فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملا من الملائكة - إلا قالوا: ما

هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧.

(١) سورة الحشر الآية ٧.

يسمونه في الدنيا حتى يتنهبوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يتنهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبيدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم ومنها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء: أن صدق عبيدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة.

قال: فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره.
قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك. . . هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة: نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: آيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب. . .

قال: فيتفرق في جسده فيتزعزعا كما يتزعزع السنود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كائنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في

الدنيا حتى يتنهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١).

فيقول الله عز وجل «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢).

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبيدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤك هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول: أنا عمك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»

رواه الإمام أحمد وأبو داود.

اللهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

نصوص نبوية صحيحة

وهذه مجموعة من الأحاديث النبوية الصحيحة نستشهد بها على صحة ما ذكرناه:

روى مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط (الحائط هو البستان) لبنى النجار على بقلته ونحن معه إذ جادت به فكادت تلقيه، فإذا قبر ستة أو خمسة أو أربعة. . . فقال: من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا. قال: فميتى مات هؤلاء؟ قال:

(١) سورة الاعراف الآية ٤٠. (٢) سورة الحج الآية ٣١.

مات في الاشراط. فقال: إن هذه الأمة تبلى في قبورها... فلولا أن لا تدافنوا: لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر: الذي أسمع منه. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا نعوذ بالله من عذاب النار. قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وروى البخارى ومسلم عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم: أنه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ.

فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. قال: فيقولان: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة.. فيراهما جميعاً.

وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان: لا دريت ولا تليت.. ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين. (ومعنى لا دريت.. ولا تليت): أى لا كنت دارياً ولا تالياً.. والمقصود بها الدعاء عليه).

وروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: فذلك قول الله ﷻ يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»^(١).

وفى لفظ: نزلت في عذاب القبر: يقال له من ربك؟ فيقول: الله ربى ومحمد نبي فذلك قول الله ﷻ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»^(١).

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧.

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح أبى حاتم أن النبي ﷺ قال:

«إن الميت إذا وضع في قبره: إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلى مدخل ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام: ما قبلى مدخل. ثم يؤتى من يساره فتقول الزكاة: ما قبلى مدخل. ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قبلى مدخل. فيقال: له اجلس. فيجلس وقد ملئت له الشمس وقد أخذت للغروب فيقال له: هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول؟ دعونى حتى أصلى فيقولان: إنك ستصلى أخبرنا عما نسألك عنه؟ أرايتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله فيقولان له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته فى النسيم الطيب وهى طير معلق فى شجر الجنة.. قال: فذلك قول الله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة»^(١).. وذكر فى الكافر ضد ذلك إلى أن قال:

«ثم يضيئ عليه فى قبره إلى أن تختلف أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى: «فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى»^(٢).

وفى صحيح البخارى عن سمرة بن جندب قال: «كان النبي ﷺ

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧. (٢) سورة طه الآية ١٢٤.

قال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾^(١)

قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾^(٣).
والكتاب: هو القرآن.

والحكمة: هي السنة باتفاق السلف.

وما أخبر به الرسول عن الله: فهو في وجوب تصديقه والإيمان به.. كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله..

هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم. وقد قال النبي ﷺ «إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

وأما الجواب المفصل: فهو أن نعيم البرزخ وعذابه المذكوران في القرآن في غير موضع.. فمنها قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم.. اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾^(٤).

وهذا خطاب لهم عند الموت.

وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: اليوم تجزون ومنها قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾^(٥).

(١) سورة النساء الآية ١١٣. (٢) سورة الجمعة الآية ٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٤. (٤) سورة الأنعام الآية ٢.

(٥) سورة غافر الآيات [٤٥، ٤٦].

فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً.. لا يحتمل الشك. ومنها قوله تعالى: ﴿فلذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون. يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾^(١).

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا.

وقد يقال وهو أظهر أن مات منهم.. عذب في البرزخ ومن بقي منهم.. عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ. ومنها قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾^(٢).

وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبدالله بن عباس على عذاب القبر. وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن.

لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه: فهم منها عذاب القبر.. فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر. فأخبر أن يذيقهم بعض «الأدنى» ليرجعوا.. فدلّ على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال: «من العذاب الأدنى» ولم يقل «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى».

فلتأمل ذلك جيداً.. ونظيره قول النبي ﷺ: «يفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» ولم يقل: فيأتيه حرها وسمومها فإن الذي وصل إليه: بعض ذلك وبقي له أكثره.. والذي ذاقه أعداء الله في

(٢) سورة السجدة الآية ٢١.

(١) سورة الطور الآيات [٤٥ : ٤٧]

الدنيا بعض العذاب وبقي لهم: ما هو أعظم.

ومنها قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين، فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم﴾^(١)

فذكر ههنا: أحكام الأرواح عن الموت وذكر في أول السورة: أحكامها يوم المعاد الأكبر. وتقديم ذلك على هذا تقديم للغاية للعناية. إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام. ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾^(٢).

وقد اختلف السلف: متى يقال لها ذلك؟

فقال طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ: مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه.

وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره فيقال لها: (اخرجي راضية مرضياً عنك) وقوله تعالى: ﴿فادخلي في عبادي﴾ مطابق لقوله ﷺ «اللهم الرفيق الأعلى». وأنست إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيراً لما دل عليه القرآن.

أسباب عذاب القبر

قال العلامة ابن القيم:

ذلك راجع إلى سببين:

مجمّل ومفصل:

(١) سورة الواقعة الآيات [٨٣ : ٩٦].

(٢) سورة الفجر الآيات [٢٧ : ٣٠].

أما المجلّم فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتيابهم لمعاصيه فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وأمثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه أبداً فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة: أثر غضب الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك. كان له من عذاب البروخ بقدر غضب الله وسخطه عليه: فمستقل ومستكثر ومصداق ومكذب.

وأما المفصل: فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول.

فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقّع للعناوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً وفي هذا تنبيه على أن الموقّع بينهم العداوة: بالكذب والزور والبهتان: أعظم عذاباً كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشدّ عذاباً وفي حديث شعبة (أما أحدهما: فكان يأكل لحوم الناس فهذا مقتاب وذلك نمام).

وقد تقدم حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- في الذي ضرب سوطاً امتلا القبر عليه به ناراً لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم فلم ينصره، وقد جاء في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال: (كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا...؟ والحديث: مذكور بطوله فيما مضى فليرجع إليه من شاء وما سبق يتبين أن عذاب القبر يكون عن معاصي القلب والعين والأذن والشم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله:

فالنمائم والكذاب والمغتتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعى إلى البدعة والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه وأكل الربا وأخذ معة ومعطيه وكاتبه وشاهده وأكل أموال اليتامى وأكل السحت من الرشوة والبرطيل (الرشوة) ومعهما وأكل

مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد وشارب المسكر وأكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر والمحلل والمحلل له والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذى المسلمين ومتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله والمعين على الإثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ والنائحة والمستمع إليها ونواحو جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرّج والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمارون واللمارون والطاعنون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذي إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم يتزجر فإذا خوفته بمخلوق مثله: خاف وارعى وكف عما هو فيه والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأساً فإذا بلغه عمن يحسن به الظن من يصيب ويخطئ: عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه والذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق: طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دراعى الطرب وود أن المغنى لا يسكت والذي يحلف بالله ويكذب فإذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويمتله من المغرقيين: لم يكذب ولم يهدد وعوقب والذي يفتخر بالمعصية ويتكبر بها بين إخوانه وإضرابه - وهو المجاهر والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك - والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق تقاء شره وفحشه والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها نقرًا ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ولا يؤدي ركاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها

ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ولا يبالي بما حصل من المال من حلال أو حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرأى العالين ويمنع الماعون ويتشغل بعيوب الناس عن عيبه وينتوهم عن ذنبه.

كل هؤلاء وأمثالهم: يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلتها وصغيرها وكبيرها.
ولما كان أكثر الناس كذلك: كان أكثر أصحاب القبور معذنين والفائز منهم قليل.

فظواهر القبور: تراب وبواطنها حشرات وعذاب ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبینات وفي باطنها الدواهي والبليات.

تغلى بالحشرات كما تغلى القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها. تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا ونادت: يا عمار الدنيا: لقد عمرتم داراً موشكة بكم رؤالاً.

وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً.

عمرتم بيوتاً لغيركم: منافعها وسكناتها.

وخربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها.

هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال ويذر الزرع وهذه محل للعير:

رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار!

فضل القرآن ومدارسته

اعلم - وفقنى الله وإياك - أن حرص العبد في الدنيا على قراءة القرآن ومدارسته وحفظه وتلاوته: خير ما يتور له قبره ويفسح له فيه.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في هذا المعنى:

وخير جليس لا يمل حديثه

ترداده يزداد فيه تجمل

وحيث الفنى يرتفع فى ظلماته
من القبر يلقاه منا متهللاً
هنالك يهنيه مقبلاً وروضة
ومن أجله فى ذروة العز يجتلى
يناشد فى إرضائه لحبيبه
واجدر به مؤلاً إليه موصل
فيا أيها القارى به متمسكاً
مجللاً له فى كل حال مبجل
هنيئاً مريئاً والذاك عليهما
ملايس أنوار من التاج والحلى
يرحم الشاطبي وجزاء الله عن القرآن خيراً.

فضل القرآن

وحافظ القرآن

وها نحن أولاً: نذكر نصراً تبين لنا فضل القرآن على أصحابه
العاملين به المستمسين بهديه السالكين على منهجه السائرين على دربه.
قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن
العظيم﴾^(١).

وقال جل شأنه: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾^(٢).
وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(٣).
وصح عن النبي ﷺ أنه حدث عن جبريل عليه السلام عن الله
تبارك وتعالى أنه قال: (من شغله قراءة كتابي عن مسألتي: أعطيته أفضل

(٢) سورة البروج الآية ٢١.

(١) سورة الحجر الآية ٨٧.

(٣) سورة فصلت الآيات (١١ + ١٢).

ما أعطى الشاكرين) وفى رواية أخرى (السائلين).
وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله أهلين من الناس فقيل:
من هم يا رسول الله؟
قال: أهل القرآن. هم أهل الله وخاصته»
وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- يرفعه: (أشرف أمتي: حملة
القرآن وأصحاب الليل).
وعنه أيضاً يرفعه:
(من أعطى القرآن فظن أن أحداً أعطى أفضل عما أعطى: فقد عظم
ما حقر الله وحقر ما عظم الله) وقال: (من أوتى القرآن: فكأنما أدرجت
النوبة بين جنبيه إلا أنه لم يوح إليه).
وسئل النبي ﷺ: من أفضل الناس؟ فقال: «الحال المرتحل قيل:
ومن الحال المرتحل؟ قال: صاحب القرآن.. كلما حل ارتحل: أى كلما
أنتم ختمة: استأنف ختمة أخرى».
وعن علي -رضى الله عنه- قال: (ذكر لرسول الله ﷺ الفتنه ..
قلنا يا رسول الله: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم
وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من
جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله
المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تلبس له
الأسن ولا يزيغ به الأهواء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا ينسج منه
العلماء، ولا تنقض عجايبه، هو الذى لم يلبث الجن إذ سمعته أن
قالوا: ﴿إننا سمعنا قرآناً عجيباً﴾^(١). من قال به: صدق ومن حكم به
عدل ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم.

وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا
القرآن مادة الله فى أرضه فتعلموا مادته ما استطعتم وإن هذا القرآن هو

(١) سورة الجن الآية ١.

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

[illegible]

أما الجواب المفصل فذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر: فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان -رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»

وفى جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفى سنن النسائي عن رشدي بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيف على رأسه فتنة.

وعن المقدم بن معديكرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الخور العين ويشفع في سبعين من أقاربه» رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبءاه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها فاتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها فقال النبي ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية: تنجي من عذاب القبر» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وفى سند عبد بن حميد عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال لرجل: ألا تحفك بحديث تفرح

به؟ قال الرجل: بلى؟ قال: اقرأ: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير»^(١). احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجي من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: «نوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

قال أبو عمر بن عبد البر: وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له): «تبارك الذي بيده الملك».

وفى سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يرفعه: «من مات مبطوناً: مات شهيداً ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه بروق من الجنة».

وفى سنن النسائي عن جامع بن شداد قال: سمعت عبدالله بن يشكر يقول: «كنت جالساً مع سليمان بن صرة وخالد بن عرفة فذكروا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتبهان أن يكونا شهد جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: من قتله بطنه لم يعذب في قبره».

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة حدثني أحمد بن جامع بن شداد قال أبي فذكره وزاد: فقال الآخر: بلى.

وفى الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وليس إسناده متصل.

وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث فيه الشفاء رواه أبو موسى المديني وبين علته في كتابه (الترغيب والترهيب وجعله شرحاً له) رواه من حديث الفرج بن فضالة حدثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن مسرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بولدين فرد ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه. ورأيت رجلاً من أمي احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه ورواه. ورأيت رجلاً من أمي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع فجاءه غسله من الجنابة فآخذه بيده فأنقذه إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متعبر فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمي يتقى وهج النار وشرورها فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمته فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمته فكلّموه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وصالحهم. ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمي جاثياً على ركبتين وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً من أمي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله - عز وجل - فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمي خف ميزانه فجاءه إفراطه فشقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاءه من الله عز وجل

فاستنقذه من ذلك ومعنى ورأيت رجلاً من أمي قد هوى في النار فجاءته دمعة أتت بكى من خشية الله - عز وجل - فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى. ورأيت رجلاً من أمي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جداً فيأدر يا أخي بالأعمال الصالحة كما أمرك بذلك مولانا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾^(١) وفي قوله عز وجل ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾^(٢).

وفي قوله جل شأنه ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٣).

وفي قوله تبارك وتعالى ﴿وإلى ذلك ليلتنافس المتنافسون﴾^(٤).
 قال ﷺ: «يأدروا بالأعمال الصالحة سبباً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو هرمًا مفنداً، أو مرضاً مفسداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر». فكن لله ذاكرًا وإياك ونسيان الموت فتنبه به خلال ميم. واعلم بأن خير الأعمال: ذكر الله.

(١) سورة البقرة الآية ١٤٨. (٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣. (٣) سورة الحديد الآية ٢١. (٤) سورة المطففين الآية ٢٦.

قال أبو عمرو: المراد بنسمة المؤمن: روحه. وقد شاء فضل الله تعالى أن يخص الشهداء بمنازل كريمة ودرجات رفيعة، جزاء ما بذلوا وقاتلوا وقتلوا.

قال عليه السلام: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه».

فلما كان هذا يختص بالشهيد قال: «إن للشهيد» ولم يقل: «إن للمؤمن». وكذلك قوله في حديث قيس الجزامي: «يعطى الشهيد ست خصال». وكذلك سائر الأحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة.

وعنه عليه السلام أنه قال: «أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة».

وعن معمر عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور بيض تأكل من ثمار الجنة.

وعن أبي عاصم الشيباني عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو: «أرواح الشهداء في طير كالزراير يتعارفون ويررقون من ثمرة الجنة».

قال أبو عمر: هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء، دون غيرهم. وفي بعضها «في صور طير». وفي بعضها «في أجواف طير» وفي بعضها «كطير خضر».

قال: والذي يثبت عنى -والله أعلم- أن يكون القول قول من قال «كطير» أو «صور الطير».

ثم: مازلنا بصدد الحديث عن مستقر الأرواح.

قال أبو عبد الله بن منده: وروى موسى بن عبيدة عن عبد الله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ، فسألناه عن هذه الأرواح؟ فوصفها صفة أبكى أهل البيت. فقال: «إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت الشجر يقولون: ربنا الحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا».

وإن أرواح الكفار في حواصل الطير سود، تأكل من النار وتشرب من النار، وتأوى إلى حجر في النار. يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتتنا ما وعدتنا.

وقال الطبراني: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن صخرة بن حبيب قال: سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين، فقال: «في طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال محبوسة في سجين».

رواه أبو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح (وزواه) أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن صخرة بن حبيب.

وعن تميم الرازي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء: استقبله جبرائيل في سبعين ألفاً من الملائكة كل منهم يأتيه بشارة من السماء، سوى بشارة صاحبه فإذا انتهى به إلى العرش: خر ساجداً فيقول الله -عز وجل- ملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل مدود وماء مكسوب. رواه بكر بن خنيس عن خدار بن عمرو عن زيد وأبي عبد الله.

كلمة عن الروح

اعلم يا أخى - وفقنى الله وإياك - أن الروح لا يمنعها شيء من الإشراف والاتصال بالقبر وفنائها. . . وذلك القدر من الإشراف كاف لعرض مقعده عليه. . . فإن للروح شأنًا آخر: تكون في الرفيق الأعلى

فى أعلى عليين ولها اتصال بالبدن مسلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي فى الملاء الأعلى.

ومن الخطأ الشنيع أن يعتقد بعض الناس أن الروح من جنس ما يعمد من الأجسام التى إذا شغلت مكاناً لا يمكن أن تكون فى غيره. وهذا خطأ محض... بل الروح تكون فوق فى أعلى عليين وترد إلى القبر فتد السلام. وتعلم بالمسلم وهي فى مكانها هناك وروح رسول الله ﷺ فى الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه وتعالى إلى القبر فتد السلام على من مسلم عليه وتسمع كلامه.

وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلى فى قبر، ورآه فى السماء الخامسة والسادسة والسابعة: فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كدمع البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائها بمنزلة شعاع الشمس وجرمها فى السماء.

وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدى العرش، ثم ترد إلى جسده فى أيسر زمان.

وكذلك روح الميت: تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السماوات السبع، وتقف بين يدى الله فتسجد له، ويتنقى فيها فضاء، ويربها الملك ما أعد الله لها فى الجنة، ثم نهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه.

وقد ذكر أبو عبدالله بن منده من حديث عيسى بن عبدالرحمن: حدثنا ابن شهاب، حدثنا عامر بن سعد عن إسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله عن أبيه قال: «أردت مالى بالغابة، فأدركنى الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ذلك عبدالله... ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا يزال كذلك، حتى إذا طلع الفجر: ردت أرواحهم إلى مكانهم الذى كانت به».

ففى هذا الحديث: بيان سرعة انتقال أرواحهم من العرش إلى الثرى، ثم انتقالها من الثرى إلى مكانها.

ولهذا قال مالك وغيره من الأئمة: إن الروح مرسلة تذهب حيث شئت وما يراه الناس من أرواح الموتى ومجيئهم إليهم من المكان البعيد: أمر يعلمه عامة الناس. ولا يشكون فيه.

ابن القيم والعلاقة بين الحى والميت

عقد العلامة ابن القيم فصلاً يدور حول سؤال، مفاده: هل تعرف الاموات زيارة الأحياء وسلامهم... أم لا؟ ولما كان هذا السؤال يلقى ظلالاً على نفس السائل: لابد من كشف تغطاء عنها... فإن الإجابة جاءت موافقة للقاعدة التى قعدناها من قبل، والتى تفيد أن المصدر الحقيقى لما يدور بعد الموت: إنما هو السماع من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ولذا بدأ «ابن القيم» الإجابة قائلاً:

قال ابن عبدالبر ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام».

وفى الصحيحين عنه ﷺ - من وجوه متعددة - «أنه أمر بقتلى بدر فآلقوا فى قلب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقاً فقال له عمر: يا رسول الله: ما تخاطب من أقوام قد جيفوا... فقال: والذى بعثنى بالحق: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً».

وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له، إذا انصرفوا عنه. وقد شرع النبى ﷺ لأمته: إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا ذلك: لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب للمعدوم والجماد.

والسلف الصالح مجموعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له، ويستبشر به.

وقال أبو بكر عن عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبى الدنيا فى كتاب

استئناس الميت بالمشييعين لجنازته

ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشييعين لجنازته بعد دفنه...
روى مسلم في صحيحه من حديث عبدالرحمن بن شماس المهدي، قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت، فبكي طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: ما يبكيك يا أبتاه؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإني كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله الإسلام في قلبي: لقيت رسول الله ﷺ، فقلت: أبسط يديك فلا يبعك، فبسط يمينه قال: فقبضت يدي، قال: فقال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشرط قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، وما كان أحداً أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو مثلت أن أصفه ما أطق، -لأنني لم أكن أملاً عيني منه، لو مت على تلك الحال: لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصاحبني نائحة ولا نار، فإذا دفتمونى: فمتوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنمر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم، وانظر ماذا أراجع به رسل ربى.

فدل ذلك على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم.
وقد ذكر عن جماعة من السلف الصالح أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن.

قال عبدالحق: يروى أن عبدالله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة. وعن رأى ذلك: المعلى بن عبدالرحمن وكان الإمام أحمد منكر ذلك أولاً، حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع عن ذلك.

الماديون والموت

إن الصلة بين الحى والميت أكبر وأستر وتقوى من صلة لأحياء بالأحياء. وخاطئ كل الخطأ: من ظن أن الموت حكم بالإعدام وهذا ما يردده الماديون الغافلون المضلون، إن الموت مرحلة انتقال من عالم الفناء إلى عالم الخلود والبقاء.

انتقال من جوار الخلق إلى رحاب الحق. انكشاف للحجب الكثيفة. «لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (١).

والذى أوقع الماديين فى هذه الهوة السحيقة من الضلال حتى ذهبوا إلى فهم الموت على أنه انطفاء الحرارة وتحلل الرطوبات وقالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا تموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما هى إلا الأرحام تدفع وأرض تبلغ.

الذى أوقعهم فى هذا الضلال: أنهم قاسوا الغائب على الشاهد وطلبوا المحسوس فى غير المحسوس سقط خلفه بعم عن المحسوس كغشاء عين الخفافيش عن رؤية الأجسام البينة لنا فى ضوء الشمس: قل لهؤلاء الماديين الحسنيين: وهل نحن أبصرنا قوانين الكون، وهل وقعت أجزاءه تحت حسنا، هل رأت أبصارنا الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء؟

هل أدركنا حقيقة المغناطيسية أو الجاذبية أو الضوء أو الأثير؟
هل وقعت أيدينا على هذه الحقائق الماثلة فى هذا الكون الرحيب؟
فإذا كنا لم ندرك حقيقتها.. فكيف تصل عقولنا إلى أن نكيف

عالم البرزخ، وهو محيط أعنف من أن يعجز عبابه مباح ماهر.
إن إدراك عالم البرزخ: ليس مجاله الحسن كما أن العقل يقف
واجماً أمام بحاره.

إنما طريقه: الرحي المعصوم.

فإن الموت أمر متعلق بالروح، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

تعلقات الروح بالبدن

اعلم. وفقنى الله وإياك أن للروح خمسة تعلقات بالبدن:

التعلق الأول:

تعلقها به فى عالم الأرحام: فبعد أن مضت مدة النطفة فالعلقة،
فالمضغة: نفخ الله فيها الأرواح... قال تبارك اسمه: ﴿وذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم. الذى أحسن كل شئ خلقه، وبدأ خلق الإنسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من
روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾^(٢).

التعلق الثانى:

تعلقها بالبدن فى هذه الدنيا حيث تقوم بيت الحياة فيصرف البدن
ويباشر أعباء الحياة قال تبارك اسمه: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر... فتبارك الله
أحسن الخالقين﴾^(٣).

التعلق الثالث:

تعلقها بالبدن عند النوم فإنها وقتذاك يكون لها مباشرة من وجه
خاص.. قال جل شأنه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت

فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل
مسمى، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(١).
التعلق الرابع:

تعلقها بالبدن بعد الموت فى عالم البرزخ.. قال تعالى: ﴿حتى إذا
جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت..
كلا.. إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٢).
التعلق الخامس:

تعلقها به يوم القيامة بعد البعث.. قال جل جلاله: ﴿ثم نفخ فيه
أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها﴾^(٣).
وقال عز من قائل: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون﴾^(٤).

ملاحظة جذيرة بالاعتبار

من تأمل التعلقات السابقة: يلاحظ أن كل مرحلة من هذه المراحل
أوسع أفقاً وأرحب عما قبلها.
ولذا قيل: إن خروج المؤمن من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة:
كخروج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا:
فتعلق الروح بالجنين فى الرحم مكان ضيق، وتعلقها به فى الدنيا
حال البقطة مكان أوسع، وتعلقها به فى المنام أرحب وأوسع حيث تتقل
الروح فى أرجاء الكون.
والموت أوسع وأوسع:

فقد جاء فى الحديث: «لتموتن كما تنامون».
ولأن الموت تخلص من ظلمة المادة مما يعطى الروح رحابة أفق.
وتعلقها به بعد البعث: أشد رحابة وأوسع أفقاً.

(١) سورة الزمر الآية ٤٢. (٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٠.
(٣) سورة الزمر الأيتان [٦٨ - ٦٩]. (٤) سورة المؤمنون الأيتان [١٥ - ١٦].

(١) سورة لاسراء الآية ٨٥. (٢) سورة السجدة الآيات [٩-٦].
(٣) سورة المؤمنون الآية ١٤.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (١).

نسال الله تعالى أن يجعلنا ممن يقول فيهم: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٢).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).
وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واحشرنا في زمرة من يارب العالمين. آمين.

فصل

المراقبة والمحاسبة

اعلموا أيها العقلاء أنكم غدا بين يدي الله سواقفون وعن أعمالكم محاسبون وعلى رب العزة ستعرضون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فالיום عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.
غدا توفى النفوس ما كسبت

ويحصد الزارعون ما زرعو
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم

وإن أساءوا ففسد ما صنعوا

قيل لنفى الدين الحسن البصرى -رضى الله عنه-: أي الأيام عندك عيد فقال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد.

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى

تقلب عرياناً ولو كان كاسياً

(٢) سورة في الآية ٢٢. (٢) سورة الواقعة الآيات [٨٨ : ٩١].

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فممن كان الله عاصياً

كان فاروق هذه الأمة -رضى الله عنه- إذا أخذ مضجعه لينام كان يردد هذا النشيد المصحوب بالتشجيع: كان يسأل نفسه هذا السؤال: ماذا تقول لربك غداً يا عمر؟ لقد كنت ضالاً فهداك الله وكنت ضعیفاً فرفعك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله، فماذا تقول لربك غداً؟ فهذا الفاروق يحاسب نفسه وهو الذي كان يقول: لو عثرت بغلة في نمرق لسألني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر؟ وكان يقول رحم الله امرأ أهدى إلى عبوبي وكان يقول لأهله: اتقوا الله يا آل عمر فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحمه وكان يخاف من الله خوف من يعتقد أن النار لم تخلق إلا له وحده وكأنه يقول: لو نادى مناد يوم القيامة كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الواحد.

وكان يقول: والله ما قبلت الخلافة إلا كما يقبلها المضطر أكل الميتة وإن مثلى وأمة محمد كمثل الوصى على مال اليتيم إن وجد استغنى وإن لم يجد أكل بالمعروف يرحمك الله يا أمير المؤمنين.

يا رافع راية الشورى وحارسها

جزاك ربك خيراً عن محبيها

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به

رغم الخلاف ورأى الفرد يشقى بها

إن جاع في شدة قوم شاركهم

في الجوع أو تنجلي عنها غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته

في الزهد منزلة سبجان موليا

فمن يبارى أبا حفص وسيرته

أو من يحاول للفاروق تشيها

يوم انتهت زوجته الحلوى فقال لها

من أين لى ثمن الحلوى فأشربها

عن قوتنا قالوا لمون به
أولى فقروى ليث المال رديها
أخلاقه كانت وما عهدت

بعد النبوة أخلاق تحاكبها

مر المؤمنين فانظروا كيف يحاسب نفسه واعجبوا كيف
فسكم قبل أن تحاسبوا؟

أصبحت لا تدمع وما للأذان أصبحت لا تسمع وما
لا تخشع وما للأبدان أصبحت لا تسجد ولا تركع.

يؤمن بالقدر ثم هو يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالرزق
عجبت لمن يؤمن بالموت ثم هو يفرح، ثم يؤمن بالنار
وعجبت لمن يؤمن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل،
الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن لها.

الإسلام أبو حامد الغزالي - رضى الله عنه - فى كتاب

المراقبة والمحاسبة ما نصه:

حمن الرحيم

نائم على كل نفس بما كبت، الرقيب على كل جارحة
لمع على ضمائر القلوب إذا هي هجست، الحسيب على
الاختلاج الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى
من تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير
من الاعمال وإن خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد
ول بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت، وإنما يحاسبهم
ما أحضرت وتنتظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا
والمحاسبة فى الدنيا لشقت فى صعيد القيامة وهلك

ول بضاعتها المزجاة لخابت

وخسرت، فسبحان من عمت نعمه كافة العباد وشملت واستغرقت
رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة، وغمرت فبفتحات فضله اتعت
القلوب للإيمان وانشرحت وبيمن توفيقه تغيرت الجوارح بالعبارات
وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت
وبتأييده ونصرته انقطعت مكابد الشيطان واندفعت ويلطف عنايته ترجع
كفة الحسنات إذا ثقلت، وبتبسره تبسرت من الطاعات ما تبسرت فمته
العتاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشفاء والصلاة والسلام على
محمد منيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء.

أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا
تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما
فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ريك أحداً﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله
ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل
مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿يوم نحد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما
عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾^(٧).

فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة الأنبياء الآية ٢٤. | (٢) سورة الكهف الآية ٤٩. |
| (٣) سورة المجادلة الآية ٦. | (٤) سورة الزلزلة الآيات ٦: ٨. |
| (٥) سورة آل عمران الآية ١٦١. | (٦) سورة آل عمران الآية ٢٠. |
| (٧) سورة البقرة الآية ٢٣٥. | |

وأنهم سيتناقشون في الحساب ويطالبون بمشاقيل الذر من الأخطار واللحظات وتحققوا أنه لا ينتجهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس وأحركات ومحاسبتها في الأخطار واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عن السؤال جوابه وحسن متقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسرته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سبائته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينتجهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرايطة فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (١).

فربطوا أنفسهم أولاً بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضليتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة، ولكن كل حساب فبعده مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحسran المعاقبة والمعاقبة، فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق.

(المقام الأول من المراقبة والمشاركة)

اعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العاقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وريجه تزكية النفس، لأن بذلك فلاحها قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢).

وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصماً متارعاً يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاقبه

(١) سورة النساء الآية ٢٠٠. (٢) سورة الليل الآية ٩ : ١٠.

أو يعاقبه رابعاً
عليها الوظائف
عليها الأمر به
أهمها لم ير
الجر وانفرد بال
شرط عليها، فإ
مع الأنبياء وال
تدقيقه في أربا
كيفما كانت فم
بل شر لا يدوم
بقي الفرح بانق
الأمف على أن
أشد الغم
فحتم ع
محاسبة نفس
وحظواتها، فم
يمكن أن يشتري
هذه الأنفاس ف
هائل لا تسمح
يتبني أن يفر

البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول: للنفس ما لي
بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة
وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنا في أجلى، وأنعم
عليّ به ولو ترفاني لكنت أمتنى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى
أعمل فيه صالحاً فاحسبى أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن

جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرهما مغبة الإهمال ويعظها كما يعظ العبد الأبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة على الطاعات مستعصية على العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها. ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾^(١). فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام الرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير.

قال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾^(٢). وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهارة ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾^(٥). ذكر ذلك تحذيراً وتنبهاً للاحتراز منه في المستقبل...

وروى عبادة بن الصامت أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل سأل أن يوصيه ويعظه «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غيياً فانت عنه».

وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن يكون العقل غالباً للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان: إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة.

(١) سورة الدليلات الآية ٥٥. (٢) سورة البقرة الآية ٢٣٥. (٣) سورة النساء الآية ٩٤. (٤) سورة الحجرات الآية ٦. (٥) سورة ق الآية ١٦.

وروى شداد بن أوس عنه عليه السلام أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

ودان نفسه: لى حاسبها ويوم الدين: يوم الحساب. وقوله أننا لمدينون: أى لمحاسبون. وقال عمر -رضي الله عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة. وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله؟ قال: ويل لديان الأرض من ديان السماء، فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال: من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وإن الأمور أولاً وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها.

(المراقبة الثانية المراقبة)

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالفة فإنها إن تركت طغت وفست ولتذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها.

أما الفضيلة: فقد سأل جبريل -عليه السلام- الرسول ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه» وقال عليه السلام «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وقد قال تعالى ﴿أنمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿إن الله عليكم رقيباً﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾^(٤).

(١) سورة الرعد الآية ٢٢. (٢) سورة الملقن الآية ١٤. (٣) سورة النساء الآية ١. (٤) سورة المارج لأينان ٣٢، ٣٣.

وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى فأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل. وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيباً على فلا أبالي بغيره. وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبية والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات. وقال الجريري: أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله - عز وجل - ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وقال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: إذا جلست للناس فكُن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك.

وحكى أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائراً وسكيناً وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد بطائره مذبوحة ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك: فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع على في كل مكان. فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا: حق لك أن تكرم.

وحكى أن رليخا لما خلت بيوسف - عليه السلام - قامت فقطت وجه صنم كان لها فقال يوسف: مالك أنتحين من مراقبة جماد ولا تستحين من مراقبة الملك الجبار. وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت: له ألا تستحي فقال: ممن أستحي؟ وما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟

وقال رجل للجنيد: بم أستعين على غض البصر، فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على قوت حظه من ربه

- عز وجل - وعن مالك بن دينار قال: جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له: ومن يسكنها؟ قال يقول الله - عز وجل - إنما يسكن عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمي فراقبوني والذين انشئت أصلاهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم أن أعذب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب. وسئل المحاسب عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى. وقال المرتعش: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولقطة. ويروي أن الله تعالى قال ملائكته: أنتم موكلون بإظهار، وأنا الرقيب على الباطن.

وقال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. وقال سهل: لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان.

وسئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (١). فقال معناه ذلك لمن راقب ربه - عز وجل - وحاسب نفسه وتزود لمعاده. وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة؟

فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسب الله يغفل ساعة

ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

(١) سورة البقرة الآية ٨.

الم تر أن اليوم أسرع ذاهب

وأن غداً للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظمي، فقد: لئن كنت إذا عصيت الله خالياً ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحدار ممن يملك العقوبة، وقال فرقد السنجي إن المنافق ينظر فيما لم ير أحداً دخل مدخراً السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى، وقال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى مكة فغرسنا في بعض الطريق فأنحدر عليه راع من الجبل فقال: يا راعي بعني شاة من هذه الغنم، فقال: أنا مملوك، فقال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمت احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلاناً ويراعى جانبه ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يشمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد نائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أنه ظاهر البشارة للخلق مكشوف، بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً أعنى أنها خلقت على الشك ثم استرلت بعد ذلك على القلب وقهرته، فرب علم لا شك فيه ولا يغلب على القلب كالعلم

بالموت، فإذا استولت على القلب استعجزت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين، فمراقبتهم على درجتين: الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب، أما الجوارح فإنها تتعطل على الالتفات إلى المباحات فضلاً عن المحظورات وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة لها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سمعت السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي، والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقاً بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه همّاً واحداً فكفاه الله سائر الهموم، ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلاً فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال له عاتبه: إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظر هذا في القلوب المعظمة للملوك الأرض حتى أن خدام الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتمل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فرعاً بجوار الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبدالواحد بن زيد: هل تعرف في زمانك هذا رجلاً قد اشتغل بحاله من الخلق؟ فقال: ما أعرف إلا رجلاً سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريعاً حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبدالواحد بن زيد: من أين جئت يا عتبة فقال: موضع كذا وكان طريقه على السوق، فقال: من لقيت في الطريق فقال: ما رأيت أحداً.

ويروى عن يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فتبيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: ما ظننتها إلا جداراً، وحكى عن بعضهم أنه قال: مررت بجماعة يرامون وواحد جالس بعيداً عنهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال: ذكر الله تعالى أشهى، فقلت: أنت وحدك، فقال: معي ربي وملكانى، فقلت: من سبعة من هؤلاء فقال: من عز الله له، فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء، وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه فهو لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه.

ودخل الشبلى على ابن الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكناً حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكران؟ فقال: سنور كانت لنا فكانت إذا أردت الصيد رابطت رأسى الحجر لا تتحرك لها شعرة، وقال أبو عبدالله بن خفيف: خرجت من مصر أريد الرملة للقاء ابن عني الروذباري، فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهد: إنه فى صور شاباً وكهلاً قد اجتمعاً على حال المراقبة فلو نظرت إليها نظرة لعنت تستفيد منه فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خربة وليس على كفى شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة، فسلمت عليهما فما أجابانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب، فقلت: نشدكما بالله ألا ردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال: يا بن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير يابن خفيف ما أقل شغلك حتى تفرغ إلى لقائنا قال فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان، فبقيت عندها حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرفع رأسه إلى وقال: يابن خفيف نحن أصحاب المنائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة

أيام لا أكل ولا اشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلاً شيئاً ولا شرباً فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى الخلقهما أن يعظاني لعل أن أنتفع بمعظمتها فرفع الشاب رأسه، وقال: يابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيئته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم على يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدعهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال منعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو من المراقبة، نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجبون إلا بعد الثبوت من ويمتنعون عن كل ما يقتضحون به فى القيامة فلإنهم يرون الله فى الدنيا مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالاً فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن جلال وتعظيم بل عن حياء فلإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء فيك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلاً به لا حياء منه، فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى، ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته ومكاناته وخطراته ولحظاته، وبالجملة جميع اختياراته، وله فيها نظران: نظر قبل العمل، ونظر فى العمل. أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أمر الله خاصة أو هو من هوى النفس ومتابعة الشيطان فيستوقف فيه ويتثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق فإن كان الله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استجيا من الله وأنكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه

وقال على -كرم الله وجهه-: الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصديق السلامة. رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب مديق من صدق غيبه ولا يعرفك من حبيب سوء ظن نعم الخلق لتكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العمر التقوى، وأوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والورق ورقان ورق تطلبه وورق يطلبك فإن لم تاته أذاك.

• وإن كنت جارعاً على ما أصيب مما فى يدك فلا تجزع على مالم ر إليك واستدل على مالم يكن بما كان قائماً بالأمور أشباه والمرء يسره مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك . تكثرون به فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما حلقت وشغلك لأخترتك وهمك فيما بعد الموت وغرضاً من نقل هذه الكلمات قوله، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة.

فإذن النظر الأول للمراقب نظره فى الهم والحركة أمى لله أم للهوى وقد قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرانى بشيء من علمه وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة أتر الآخرة على الدنيا».

وأكثر ما ينكشف له فى حركاته أن يكون مباحاً ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله ﷺ «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه».

النظر الثالث: للمراقبة عند الشروع فى العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق انه فيه، ويحسن النية فى إتمامه، ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكن وهذا ملازم له فى جميع أحواله فإنه لا يخلو فى جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى فى جميع

ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب. فإن كان قاعداً مثلاً فينبغى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ: «خير المجالس ما استقبل به القبلة».

ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه، قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول: هكذا تجالس الملوك، فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التى ذكرناها فى مواضعها فكل ذلك داخل المراقبة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لأدائها وفاء بالمراقبة.

فإذن لا يخلو العبد إما أن يكون فى طاعة أو فى معصية أو فى مباح فمراقبته فى الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الأدب.

ثم بشهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها. وكل ذلك من المراقبة بل لا يتفك العبد فى كل حال من فرض الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة.

فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغى أن يلتزم أفضل الأعمال ليشغل بها فإن فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مبغون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١).

وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث: ساعة مضت لا تعب فيها على العبد.

(١) سورة القصص الآية ٧٧.

كيفما اتقضت في مشقة أو رفاهية، وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدرى العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها، وساعة راحة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن آتته الساعة الثانية استوفى في حقه منها كما استوفى من الأول ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون في وقته كأنه في آخر أنفاسه فلملح آخر أنفاسه وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر -رضي الله عنه- من قوله عليه السلام.

(لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرقعة لمعاش، أو لذة في غير محرم)

وما روى عنه أيضاً في معناه (وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يتاجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرّب).

فإن هذه الساعة عوناً على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرّب لا ينبغي أن يخلو عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والنكر، فإن الطعام الذي يتناوله فيلقيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل مركز من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام:

قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأميابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر، وهذا مقام ذوى الأسباب وقسم ينظرون فيه بعين الفت والكرامية.

ويلاحظون وجه الاضطراب إليه ويودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين، وقوم يرون في الصفة الصانع ويرتقون بها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك

سبباً لتذكر أبواب من الفكر تفتح عليهم بسببه، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيه وكتابه وتصنيعه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع، وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله -عز وجل- فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إذا فتحت له أبواب الملكوت، وذلك عزيز جداً.

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جميلته ويدجون منه ما لا يوافق هواهم ويميبونه ويلذمون فاعله فيلذمون الطيبخ والطباخ ولا يعصمون أن الفاعل للطيبخ والطباخ وتقدرته ولعلمه هو الله تعالى.

وإن من ذم شيئاً حتى الله بغير إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

المرابطة الثالثة: محاسبة النفس بعد العمل

ولتذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها

أما الفضيلة فقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(١) وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر -رضي الله تعالى عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا ونوها قبل أن تورثوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: استوصت أنت، فقال: نعم، قال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشد فامضه وإن كان غياً فنته عنه. وفي الخبر ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي ﷺ: «إني لاستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة». وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣).

(٢) سورة النور الآية ٣١.

(١) سورة الحشر الآية ١٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

وعن عمر -رضي الله عنه- إنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنة الليل ويقول لنفسه: ماذا فعلت اليوم، وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

وروى عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أن أبا بكر -رضوان الله عليه- قال لها عن الموت:

ما أحد من الناس أحب إليّ من عمر ثم قال لها: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال، فقال: لا أحد أعزّ عليّ من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها.

وحديث أبي طلحة حيث شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندمًا ورجاء للعرض مما فات.

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقبل له: يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال: أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فر المحاسبة.

فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العمل، ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله.

وقال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يومًا وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعت يقول وبينه وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبك وقال الحسن في قوله تعالى:

﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾^(١) قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشرتي؟ والفاجر يعضى قدمًا لا يعاتب نفسه، وقال مالك بن دينار -رحمه الله تعالى- رحم الله عبدًا قال لنفسه: الست صاحبة كذا، الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدًا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه وقال ميمون بن مهران:

التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال إبراهيم التيمي:

مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها واشرب من أنهارها وأعانت أبقارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من رقومها واشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغللها فقلت لنفسى: يا نفس أى شيء تريدني فقلت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قلت: فأنت في الأمانة فاعمل، وقال مالك بن دينار:

سمعت الحجاج يخطب وهو يقول:

رحم الله امرءً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرءً أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به، رحم الله امرءً نظر في مكياه، رحم الله امرءً نظر في ميزانه فمارال يقول حتى أبكاني.

وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال كنت أصحب فكان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار، ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التروية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب

سورة القيامة الآية (٢).

فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخسارة لهم في قوائمه ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياماً قللاً فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به جلب الشقاوة والسعادة أبد الأبد ما هذه المأصلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك، ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليثبت له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمائه وكلفه تداركه في المستقبل.

فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربخه التوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جليلة النهار ومعاملة نفسه الأمانة بالسوء فيحاسبها على الفرائض أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أجلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجيران بالتوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعليقها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الجنيه والقيوط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يعبث في شيء منها فينبغي أن يتقى غيبة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكاراة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طوال نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما لا سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن؟

فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصلاح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه.

كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضممان وبعضها يرد عنه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن

شيء من ذلك إلا بعد تحقيق لحساب وتمييز الباقي عن الحق الواجب عليه، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة.

في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقعة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن مئة سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى، فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكن يتساهل في حفظ المعاصي والمسلكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه.

المربطة الرابعة

في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارنة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارنة المعاصي وأنت بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها، بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل ثمرة شبهة شهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجموع، وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته، هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة.

فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلاً من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست.

وروى أنه كان في بنى إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زماناً طويلاً فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع؟ فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال: هيهات هيهات رجلى خرجت تريد أن تعصى الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبداً فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك، وأنزل في بعض كتبه ذكره، ويحكي عن الجنيد قال: سمعت ابن الكريبي يقول: أصابتني ليلة جنابة فأصبحت أن اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أقرأ أو أدخل الحمام ولا أشق على نفسي فقلت وا عجبا أنا أعامل الله في طول عمري، فيجب له على حق فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر أليت أن لا اغتسل إلا في مرقعتي هذه وأليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس.

ويحكي أن غذوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر إليها غذوان فرفع يده فلطم عينيه حتى بقرت وقال: إنك بلحاظة إلى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طوال حياته فكان يشرب الماء الحار لينقص على نفسه العيش.

ويحكي أن حسان بن سنان مر بغرفة فقال: متى بنيت هذه، ثم أقبل على نفسه فقال: تسالين عما لا يعنيك لأعاقبك بصوم سنة فصامها.

وقال مالك بن ضغيم: جاء رياح القيس يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا: إنه نائم.

فقال: نوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟

ثم ولى متصرفاً فاتبعناه رسولاً وقلنا له: ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال: هو أشغل من أن يفهم عنى شيئاً أدركته وهو يدخل نقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينال الرجل متى شاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين يا لا تعلمين، أما إن الله على عهدك لا أنقضه أبداً لا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سواء لك أما تسحين كم توبخين وعن غيك لا تتبين.

قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكانى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته.

ويحكي عن تميم الداري أنه نام ليلة لم يقم فيها يتعبد فقام مع لم ينم فيها عقوبة الذي صنع.

وعن طلحة -رضي الله عنه قال:-

انطلق رجل ذات يوم فترع ثيابه وتفرغ في الرمضاء فكان يقول لنفسه: ذوقى ونار جهنم أشد حراً أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي فقل له النبي ﷺ: ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أحكم فجعل الرجل يقول له: يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي ﷺ: عميم فقال: اللهم اجعل التقوى رادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي ﷺ يقول: اللهم سدهم، فقال الرجل: اللهم اجعل الجنة مأبهم.

وقال حذيفة بن قتادة: قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهراتها؟ فقال: ما على وجه الأرض نفس أبغض إلى منها، فكيف أعطيها شهراتها ودخل بن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على اتراب فقال: يا داود سجنك نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب فالיום ترى ثواب ما كنت تعمل له.

وعن وهب بن منبه

أن رجلاً تعبد زمناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سباً يأكل في كل سبت إحدى عشرة ثمرة، ثم سأل حاجة فلم يعطها فرجع إلى نفسه، وقال: منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فتزل إليه ملك وقال: يا بن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك.

وقال عبدالله بن نيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصبح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت: لأرفضه اليوم فرفضته فحمل الناس على عدوهم فكان في أولهم ثم إن العدو حمل على الناس فأنكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذاك رايه حتى رأيته سريعاً فغددت به ستين أو أكثر من متين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك، وإن عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم؟

وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوق بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه: ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا.

وانكر وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فتفت شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إنطاره خبزاً بغير ملح فقال له: لو أكلته بملح لقال: إن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا.

فهكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والمعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار ويغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغياناً عليك وضرك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنقص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها.

المرابطة الخامسة المجاهدة

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرأها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالمعصيات التي مضت وإن رآها تتواني بحكم لكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤديها بتثقل الأوراد عليها ويلزمها فتوراً من الوظائف جبراً لما فات منه وتداركاً لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حيث فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة

المغرب حتى طلع كوكبًا فاعتق رقبتين وفات ابن أبى ربيعة ركعتنا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل له على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيًا أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومزاخلة لها بما فيه نجاتها، فإن قلت إن كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فى سبيل معالجتها.

فأقول: سبيلك فى ذلك أن تسمعها ما ورد فى الأخبار من فضل المجتهدين ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة.

فتلاحظ أقواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول: إذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهداه فعملت على ذلك أسبوعًا، إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد فقد فى هذا الزمان من يجتهد فى العبادة اجتهد الأولين، فينبغى أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شئ أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتنع نفسه أيامًا فلائيل بشهوات مكذبة ثم يأتية الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضلهم ما يحرك رغبة المريد فى الاجتهاد واقتداء بهم فقد قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أقوامًا يحبهم الناس مرضى وما هم بمرضى».

قال الحسن: أجهدتهم العبادة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾^(١) قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر

سورة المؤمنون الآية ٦٠ .

ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله، وقال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله». ويروى أن الله تعالى يقول ملائكتته: ما بال عبادى مجتهدين فيقولون: إلهنا خوفتم شيئًا فخافوه وشوقتم إلى شئ فاشتاقوا إليه، فيقول الله تبارك وتعالى: فكيف لو رأتى عبادى لكانوا أشد اجتهاد وقال الحسن: أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهم كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تظفونه بأرجلكم إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة ضمام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم إذا عملوا اخسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكر وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة حزنتمهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله مازالوا كذلك، وعلى ذلك، والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة.

ويحكى أن قومًا دخلوا على عمر بن عبدالعزيز يعودونه فى مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له: يا فتى ما الذى بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض، فقال: سألتك بانه ألا صدقتنى، فقال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظلمات لذلك نهارى وأسهرت ليلى وقليل حقير كل ما أنا فيه من جنب ثواب الله وعقابه.

نعم بكيت دماً فقلت له: على ماذا بكيت الدموع فقال: على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صلحت لى الدموع قال: فرأيت بعد موته فى المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لى قلت له: فماذا صنع فى دموعك فقال: قرينى ربه -عز وجل- وقال لى: يا فتح الدموع على ماذا، قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك، فقال: والدم على ماذا؟ قلت: على دموعى أن لا تصلح لى فقال لى: يا فتح ما أردت بهذا كله، وعزتى وجلالى لقد صعد حافظاك أربعين أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل: إن قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق فانتهاوا إلى راهب منفرد بين الناس فنادوه فأشرف عليهم صومعة فقالوا: يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأوماً برأسه إلى السماء فعلم القوم ما أراد فقالوا: يا راهب إنا سألوك فهل أنت مجيبنا؟

فقال: سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث.

فعجب القوم من كلامه فقالوا: يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال: على نياتهم فقالوا: أوصنا. فقال: تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البقية ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه فى صومعته.

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فتأديته يا راهب فلم يجبنى فتأديته الثانية فلم يجبنى فتأديته الثالثة فأشرف على وقال: يا هذا ما أنا برأهب إنما الراهب من رهب الله فى

سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومساة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت: يا راهب فما الذى قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه؟

فقال: يا أخى لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وريتها، لأنها محل المعاصى والذنوب والعاقل من رعى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه، وأقبل على ما يقربه من ربه.

وقيل لداود الطائى: لو سرحت لحيتك فقال: إني إذن لفارغ وكن أويس القرنى يقول: هذه ليلة الركوع فيبلى الليل كله فى ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود.

وقيل لما تب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك قال: الرفق أجلبنى دعينى أتعب قليلاً وأتعم طويلاً، وحج سروق فما نام قط إلا ساجداً.

وقال سفيان الثوري: عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المساء يحمد القوم النقى.

وقال عبد الله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة ضوى فراشه أى كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكى ويقول: ذهب نصف عملى. وكانت ابنة

صحبته عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فم-
النهار. ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي
تعالى عنه- أنه قال: صليت خلف علي -رضي الله
فلمّا سلم انتقل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلع
يده وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ و،
يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله .
كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا
يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل
باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان أبو مسلم الخو
في مسجد بيته يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قد
بك حتى يكون الكلل منك لا منى فإذا دخلت إلى
وضرب به ساقه ويقول: أنت أولى بالضرب من دا
أظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا دوننا كلا وا
رحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراهم رجالات.

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من
الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد. متزايد،
اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الص-
البيوت ليسجد الحر فلا ينام وإنه مات وهو ساجد وإذا
إني أحب لقاءك فأحب لقائي.

وقال القاسم بن محمد غدت يوماً وكنت إذا
-رضي الله عنها- أسلم عليها فغدوت يوماً إليها فإ

الريح بن خيثم تقول له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام،
فيقول: يا ابتاه إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الربيع ما يلقي الربيع
من البكاء والسهرة تادنه يا بني لعلك قتلت قتيلاً، قال: نعم يا أماء
قالت: فمن هو حتى تطلب أهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت
فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول: يا أماء هي نفسي.

وعن عمر بن أخت بشر بن الحرث قال: سمعت خالي بشر بن
الحرث يقول لأمي: يا أختي جوفى وخواصرى تضرب علي فقالت له:
أما يا أختي تأذن لي حتى أصليح لك قليل حساء بكف دقيق عندي
تتحسأه يرم جوفك فقال لها: ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا
الدقيق؟ فلا أدري أيش أقول فبكث أمه وبكى معها وبكى معهم. قال
عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضعيفاً فقالت
له أمي: يا أختي ليت أمك لم تلدني فقد والله تفلطت كبدي بما أرى بك
فسمعتة يقول لها وأنا: فليت أمي لم تلدني وإذا ولدتنى لم يدر ثديها
على.

قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع: مكانه
حتى صلى الظهر ثم قال: إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس
موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى العشاء ثم ثبت مكانه
حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال: اللهم إني أعوذ بك يا
أبا عبدالله مالي أراك كائنك مريض فقال: وما لا ويس أن لا يكون مريضاً
يطعم المريض وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساء
أنيت إبراهيم بن أدهم نوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه

بعباءة ثم رمى نفسه فلم ينقلب من جنب إلى فقلت له: رحمك
الله قد تمت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجدد الوضوء، فقالت: كنت ألية
كله جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك
نوم.

وقال ثابت البناني: أدركت رجلاً كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن
يأتي فراشه إلا جبراً، وقيل: مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا
يضع جنبه على فراش ونزل الماء في إحدى عينيه فمكث عشرين سنة لا
يعلم به أهله وقيل: كان يقرأ، **﴿قل هو الله أحد﴾** (١) إحدى وثلاثين ألف
مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى، وكان منصور بن المعتمر يرايته
قلت: رجل أصيب بمصيبة منكر الطرف منخفض الصوت طب العين إن
حركته جاءت عيناه بأربع، ولقد قالت له أمه: ما هذا الذي تصنع
بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفسك لعلك
قتلت قتيلاً؟

فيقول: يا أماء أنا أعلم بما صنعت نفسي، وقيل لعامر بن عبدالله:
كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر، فقال: هو إلا أنني صرفت
طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر
وكان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها
وكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى إذا جاء
النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال:
من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعضهم:

(١) سورة الإخلاص الآية (١).

الصبيحتين حتى صباح . وعندهم القاسم بن راشد الشيباني قال : كان دمه نازلاً عندنا بالمحصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيؤاثبون فيسمع من ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى .

وقال بعض الحكماء : إن لله عبادةً أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة وتوايت للفتنة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تحول في الملكوت وتلوذ محجوب الغيوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفاً أن يصفه فهم قى باطن أمورهم كالديباج حسناوهم في الظاهر متاديل مبذولون لمن أرادهم تواضعاً وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذا هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ۚ﴾ إلى قوله تعالى : ويحذركم الله نفسه ﴿١﴾ قال : فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشياً عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إنفاقه فأفاق بعد ساعة فسمعتة وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠ .

بك من أعمال الباطلين أعوذ بك من إغراض الغافلين ثم قال : خشعت قلوب الجائفين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال : ما لى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يا دنيا بآبناء جنسك وإلا فى نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاسخدي ثم قال : أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة فى الشراب يبلون وعلى الزمان يقنون فناديت يا عبدالله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال : وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت أيامه؟ ثم قال : أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ ﴿وبد اللهم من الله ما لم يكونوا يحسبون﴾ (١) ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشياً عليه فقلت : قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول : من أنا ، ما خاطري ، هى لى أساءت من فضلك وجللتى بترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له : بالذى ترجوه لنفسك وتشق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه إني فى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عوناً على ليخرجنى عما أنا فيه غيبك فإليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من مسخطه ويتفضل على برحمته قال : فقلت : هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا فانصرف وتركتة ، وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى مسير لى إذ ملت إلى شجرة لاستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى : يا

(١) سورة الزمر الآية ٤٧ .

هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت: وفيما بعد الموت فقال: من أبقن بما بعد الموت شد مثلر الحذر ولم يكن ثم فى الدنيا مستقر له قال: يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملا قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غداً عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع من الإعراض عنك ثم قال: لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينسبط فيما عندك أملى ثم مضى وتركتنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى:

نحيل الجسم مكتتب الفؤاد	تراه بقمة أو بطن وادى
ينوح على معاصٍ فاضحات	يكدر ثقلها صفو الرقياد
فإن هاجت مخاوفه وزادت	فدعوته أغشى يا عمادى
فانت بما ألقبه عليهم	كثير الصفح عن ذلل العباد

وقيل أيضاً:

الد من التلذذ بالفوانى	إذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال	يبح إلى مكان من مكان
لتحمل ذكره ويعيش فردا	ونظفر فى العباد بالامانى
تلذذه التلاوة أين ول	وذكر بالفوائد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير	يشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى	من الراحة فى غرف الجنان

وكان كسر بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقل له: قد أجهدت نفسك فقال: كم

عمر الدنيا؟ فقبل سبعة آلاف سنة، فقال: كم مقدار يوم القيامة؟ فقل: خمسون ألف سنة، فقال: كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى إنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لما كن ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جدير فكيف وعمرك قصير والآخرة لا نهاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطنع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أفجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمدينة وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم تكن إلى فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زميرهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذو البصائر فى الدنيا وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترضى لها أن تتخرط فى سلك الحمقى وتفتن بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقرىاء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستكفى أن تكونى أقل من امرأة فاحسى برجل يقصر عن امرأة فى أمر دينها ودنياها، ولذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات.

فقد روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: إلهى قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إلهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فاه أم

رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو
انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع على نفسي من وجودك وكرمك .

ويروى عن عفرة أنها كانت تحي الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا
كان في السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجى
الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسالك لا
بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في عليين من
درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم
العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وصية ثم لا
تزال تدعو وتبكي إلى الفجر .

وقال يحيى بن بسطام : كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما
تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذ خلت فامرناها
بالفرق بنفسها فقال : أنت وذاك قال : فأتيناها فقلت لها : لو رفقت
بنفسك واقتصرت من هذا البكاء شيئاً فكان لك أقوى على ما تريد
قال : فبكيت ثم قالت : والله لوددت أن أبكى حتى تنفد دموعي ثم أبكى
دماً حتى لا تبقى قطرة من دم في جوارحه من جوارحي وأناى لى بالبكاء
فلم تزل تردد وأناى لى بالبكاء حتى غشى عليها .

وقال محمد بن معاذ : حدثتني امرأة من المتعبدات قالت : رايت في
منامى كأنى دخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت : ما شأن
أهل الجنة قيام فقال لى قائل : خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى
زخرفت شعوانة الجنان لقدومها فقلت : ومن هذه المرأة فقيل : أمة سوداء
من أهل الايكة يقال لها شعوانة قالت : فقلت : أختى والله قالت فيبينما

انا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رايتها ناديت
يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك
قالت : فبسمت إلى وقالت : لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين :
الزمنى الحزن من قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى وقال
عبدالله بن الحسن : كانت له جارية رومية ، وكنت بها معجباً فكانت فى
بعض الليالى نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتصتها فلم أجدها فقممت أصليها
فإذا هى ساجدة وهى تقول : بحبك لى إلا ما غفرت لى ذنوبى قتلت
لها : لا تقولى بحبك لى ولكن قولى : بحبى لك ، فقالت : يا مولاي
بحبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من
خلقه نيام .

وقال أبو هاشم القرشى : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال
لها : سريّة فتزلت فى بعض ديارنا قال : فكنت أسمع لها من الليل أنيناً
وشهيقاً فقلت يوماً لخادم لى : أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع ؟ قل :
فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى
مستقبلة القبلة تقول : خلقت سريّة ثم غديتها بنعمتك من حال إلى حال
وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك
متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلته بعد فلته أتراها تظن أنك
لا ترى سوء فعالها ، وأنت عليم خبير وأنت على كل شىء قدير .

وقال ذو النون المصرى : خرجت ليلة من وادى كنعان فلما عنوت
الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول «ويذا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون»^(١) . ويبكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة

(١) سورة الزمر الآية ٤٧ .

صوف ويدها ركوة فقالت لى: من أنت غير فزعة منى؟ فقلت: رجل غريب فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت لقولها لى فقالت لى: ما الذى أبكاك؟ فقلت: قد وقع الدواء على داء قد قرخ فأسرع فى لجأحه قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله، والصادق لا يبكى قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجباً من قولها.

وقال أحمد بن على: استأذنا على عفرة، فحجبتنا فلأرنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول: اللهم إنى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها: يا أمة الله ادعى لنا فقالت: جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة، ثم قالت لنا: مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينتظر إلى السماء فخانت منه نظرة فخر مغشياً عليه فأصابه فتق فى بطنه فبأ ليت عفرة إذا رفعت رأسها لم تعصى وبأ ليتها إذا عصت لم تعد.

وقال بعض الصالحين: خرجت يوماً إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت: لا تبرحى حتى أنصرف إليك قال: فأنصرفت فلم أجدها فى الموضع فأنصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت: يا مولاي لا تعجل على إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها: أنت حرة فقالت: ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما.

وقال ابن العلاء السعدى: كانت لى ابنة عم يقال لها: بريرة تعبدت وكانت كثيرة الفراءة فى المصحف فكلما أنت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناه من البكاء فقال بنو عمها: انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعزلها فى كثرة البكاء قال: فدخلنا عليها فقلنا يا بريرة كيف أصبحت؟ قالت أصبحتنا أضيقاً منيخين بأرض غربة نتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها: كم هذا البكاء؟ قد ذهبت عيناك من فقالت: إن يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منها فى الدنيا، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال: فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شىء غير ما نحن فيه. وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فإذا جاء الليل تقول: هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح.

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها، وقمت أنا إلى ناحية من أبيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت: ما جزاء من قرأنا على قيام هذه الليلة قالت: جزاؤه أن تصوم له غداً.

وكانت شعوانة تقول فى دعائها: إلهى ما أشوقنى إلى لقائك وأعظم رجائى لجزائك، وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك الآملين، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين، إلهى إن كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عدت فمن أعدل منك هنالك إلهى قد جرت على نفسى

فى النظر لها وبقي لها حسن نظرك، فالويل لها إن لم تسعدها، إلهى
إنك لم تزل بى بركاً أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت
عن تولائى فى حياتى بإحسانه أن يسعفى عند مماتى بغفرانه، إلهى كيف
أياس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى إلا الجميل فى حياتى، إلهى
إن كانت ذنوبى قد أخافتنى فإن مجيئى لك قد أجارته فتول من أمرى ما
أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله، إلهى لو أردت إهانتى لما
هديتنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما
به سترتنى إلهى أظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمري، إلهى لولا ما
قرفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت
ثوابك.

وقال الخواص: دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى
اسودت، وبكت حتى عميت، وصلت حتى أقعدت وكانت تصلى قاعدة
فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر قال:
فشهقت، ثم قالت: علمى بنفسى فرح فزادى وكلم كبدى والله لوددت
أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئاً مذكوراً ثم أقبلت على صلاتها.

فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال
الرجال والنساء من المجتهدين لينبثق نشاطك ويزيد حرصك، وإياك أن
تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن
سبيل الله، وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر
وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب «حلية الأولياء» فهو
مشمئل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه

يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فإن حدثتك نفسك
بالنظر إلى أهل زمانك، وقالت: إنما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة
الأعوان والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنوناً وسخرؤا بك
فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك إلا ما يجرى عليهم، فإن
المصيبة إذا عمت طابت فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها
وقل لها أرايت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على
موضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم لحقيقة الحال وقدرت أنت على أن
تفارقهم وتركبى فى سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج فى
نفسك أن المصيبة إذا عمت طابت أم تركبى موافقتهم وتستجلبينهم فى
صنيعهم وتأخذين حذرهم كما إذا كنت تركبى موافقتهم خوفاً من
الغرق، وعذاب الغرق لا ينادى إلا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب
الأبد وأنت متعرضة له فى كل حال؟ ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت؟
ولأهل النار شغل شاغلى الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك
الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا: «إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإنا على آثارهم مقتدون»^(١) فعليك إذا اشتغلت بمعاقبة نفسك وحملها
الاجتهاد فاستعصمت أن لا تترك معاقبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء
نظرها لنفسها لعلها تتزجر عن طغيانها.

(المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاقبتها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك، وقد خلقت أمانة
بالسوء مبالاة إلى الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها
ببلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن

(١) سورة الزخرف الآية ٢٣.

، وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لارمتها
واللامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي
نصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في
بة فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا
شتغل أولاً برعظ نفسك.

عيسى عليه السلام يابن مريم عظ نفسك فإن
ستحى منى وقال تعالى: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَ الدُّكْرَى

بها فتقرر عندها جهلها وغبائها وأنها أبداً
يشتد أنفها واستنكاها إذا نسبت إلى الحمق
عظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة
معاً، أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار
ما على القرب فماتك تفرحين وتضحكين

فَتَقُولِينَ: «لَا تَعْلَمِينَ»
ما هو
فتة من
دون
الإنسان إلا ما سمع

وهو أقرب إليك من كل قريب أما تدبرين قوله تعالى: ﴿اقْرَبِ
لِلنَّاسِ حَسَابِهِمْ وَهُمْ فِي غَفلةٍ معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم﴾^(١) ويحك يا نفس إن
كانت جرائتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفره
وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك
ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهه
كيف كان غضبك عليه ومقتك له قباى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه
وشديد عقابه افطنين أنك تطقين عذابه هيئات هيئات جربى نفسك إن
الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسى ساعة في الشمس أوفى بيت الحزم
أو قربي أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله
وفضله واستغفانه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله
تعالى في مهمات دنياك فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه
ولا نكليه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقت حاجة إلى شهوة من شهوات
الدنيا مما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح في أحبا
وتحصلها من وجه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعض
عبدًا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي
نسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت
يل لها، وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن بس
، ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودواعيك الباطلة
بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك:

«دابة في الأرض إلا على الله رزقها»^(٢) وقال في أمر
للإنسان إلا ما سعى»^(٣) فقد تكفل لك بامر لهنيا
ن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكاليين على

١٣ : (٢) سورة هود الآية ٦ .

طلبها تكالب المدهوش المستهتر و لكل أمر الآخرة إلى معيك فاعرضت
عنها إعراض المفرور المستحقر ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان
باللسان فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار .

ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت
انفلت وتخلصت وهيهات . اتحسين أنك تتركين سدى ألم تكوني نطفة
من منى يمى ثم كنت علقة فخلق فسوى ، أليس ذلك بقادر على أن
يحيى الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تفكرين
أنه لماذا خلقك من نطفة فقدرك ثم السيل يسرك ثم أمانك فأقبرك
انتكذبيته في قوله ، ثم إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فمالك لا
تأخذين حلوك ولو أن يهوديًا أخبرك في الد طعامك بأنه يضرك
فأمرضك فصبرت عنه وتركبيه وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء
المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيراً من
قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور
علم ، والعجيب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً لرميت ثوبك في
الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان ، أفكان قول الأنبياء والعلماء
والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء ، أم
صار حر جهنم وأغلالها وأنكاليها ورقومها ومقامعها وصديدها وسمومها
وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحمين بالمها إلا يوماً أو أقل
ما هذه أفعال العقلاء ، بل لو انكشفت للبهائم حالك لضحكوا منك
وسخروا من عقلك فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به
فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة
فيما إذا أمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة

انتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدّر على قطع
العقبة بها ، إن قتلت ذلك فما أعظم جهلك .

أرايت لو سافر رجل ليثقف في الغربة فأقام فيها ستين متعطلاً بطلاً
يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت
تضحكين من عقله وظنه أنفقه النفس بما يطعم فيه بمدة قريبة أو حسبته
أن مناصب الفناء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه
وتعالى .

ثم هبى أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات
العلا .

فلعل اليوم آخر عمرك .

فلم لا تتغلبن فيه بذلك فإن أوصى إليك بالإمهال فما المانع من
المبادرة وما البعث لك على التسويف ؟ هل له سبب إلا عجزك عن
مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة ؟

انتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم
يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا
تكون المكاه قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتاملين مذ
كم تعدين نفسك وتقولين : غداً غداً فقد جاء الغد .

وصار يوماً فكيف وجدته أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً
كان له حكم بالأمس بل تعجزين عنه اليوم فانت غداً عنه أعجز وأعجز ،
لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا عجز العبد عن
قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى

والتعدي الى غير ذلك من الجرائم التي تقع في حق
الملك والامانة العامة والاشخاص والاعيان
والاوقاف والكنائس والادوية والاعمال الخيرية
والاوقاف الخيرية والاعمال الخيرية والاعمال الخيرية

[illegible][illegible][illegible]

הנה אלה המצוות אשר צוה ה' את משה ואת בני ישראל
לעשות לפני ה' את ימי חגיהם

١٠
 ما في الدنيا من شيء الا وله ركن
 ركنه الله تعالى
 ما في الدنيا من شيء الا وله ركن
 ركنه الله تعالى
 ما في الدنيا من شيء الا وله ركن
 ركنه الله تعالى

[illegible][illegible]

بيع منهم بالدنيا بحدافيرها لا شتره لو قدرهوا عليه، وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة.

ويحك يا نفس، أما تستحين تزينين ظاهرك للخلق، وتبارزين الله في السر بالعظائم، أفستحين من الخلق، ولا تستحين من الخالق. ويحك، أهو أهون الناظرين عليك أتامرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالذائل تدعين إلى الله وأنت فارة، وتذكرين بالله وأنت له ناسية.

أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة، وأن العذرة لا تظهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك.

ويحك يا نفس، لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك

ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك.

ومع هذا فتعجبين بعملك، وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وذلك وقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة.

وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه، ويحك يا نفس ما أقلرك، ويحك يا نفس ما أوقحك، ويحك يا نفس ما أجهلك.

وما أجرك على المعاصي، ويحك كم تعقدين فتقضين، ويحك كم تعقدين فتعلمين، ويحك يا نفس أنتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك

كانك غير مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثير وبنوا مشيداً وأملوا بعيداً فاصبح جمعهم بوراً وبنائهم قبوراً وأملهم غروراً، ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما توهمين ما أنت إلا في هرم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك.

أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدره إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه ويشرى بالعذاب فهل يتفعل حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن.

أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس إنك مع هذا تدعين البصيرة والفتنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك.

ولا تحزينين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص، ويحك يا نفس، تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك.

فكم من مستقبل يوماً لا يستكملهم وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فانت تشاهدن ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري أينها النفس المسكينة يوماً إلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلايته.

فانظري يا نفس بأى بدن تقفين بين يدي الله وبأى لسان تحيين وأعدى للسؤال جواباً وللجواب صواباً.

واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لا أيام طوال وفى دار زوال لدار مقام.

وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملى قبل أن لا تعملى
اخرجى من الدنيا اختيار خروج الاحرار قبل أن تخرجى منها على
الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا.

قرب مسرور مغبون، ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا
يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب
الله أنه من وقود النار، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتباراً وسعيك
لها اضطراراً ورمقك لها اختياراً وطلبك للأخرة ابتداراً ولا تكونى ممن
يعجز عن شكر ما أوتى ويبغى الزيادة فيما بقى وفيها الناس ولا ينتهى.

واعلمى يا نفس أنه ليس للذين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار.

فإنه يسار به وإن لم يسر فاتعظى يا نفس بهذه الموعظة واقبلى هذه
النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية
ولا لهذه الموعظة واعية فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة
فاستعنى عليها بدوام التهجد والقيام، فإن لم تذلل فبالمواظبة على القيام
فإن لم تذلل فبقلة المخالطة والكلام، فإن لم تذلل فبصلة الأرحام واللفظ
بالإيتام، فإن لم تذلل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وأنه
قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئ نفسك على النار،
فقد خلق الله الجنة، وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً، فكل
ميسر لما خلق له فلم يبق فيك مجال للوعظ.

فاقنطى من نفسك، والقنوط كبيرة من الكبائر، نعوذ بالله من ذلك
فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء.

مع انسداد طرق الخير عليك. فإن ذلك اغترار وليس برجاء فانظرى
الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها تسمح وهل
تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فستقى الدمع
مع بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبى على النياحة والبكاء
واستعينى بأرحم الراحمين، واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدمنى
الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك فإن
مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقت وتماذيت قد طال وقد انقطعت
منك الحيل. وراحت عنك العلل.

فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ
إلا إلى مولاك.

فأفرغى إليه بالتفرغ واخشعى فى تضرعك على قدر عظم جهلك
وكثرة ذنوبك، لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجب
دعوة المضطر.

وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت
بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجح فيك
العظات.

بهذا يكون هذا الكتاب قد تم بحمد الله وتوفيقه، وفى هذا القدر
كفاية لمن وقف عن قول الله تعالى ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيباً﴾^(١).

(١) سورة الإسراء الآية ١٤.

فهرس كتاب

الصفحة

٥	مقدمة الكتاب
٨	فصل . فيما يرقق القلب ويملؤه خشوعاً وخشيتة لله تعالى
١٠	فصل . إياك والجن وكن شجاعاً
١٣	واجب المسلمين
١٤	فصل . مرض الرسول ﷺ ووفاته
٢٣	دفن الرسول ﷺ
٢٧	زيارة القبور
٣٠	حكمة زيارة القبور
٣١	ما ينفع الميت من الأعمال
٣٢	ما ينفعه من أعمال غيره
٣٨	سؤال القبر
٤١	نصوص نبوية صحيحة
٤٨	أسباب عذاب القبر
٥١	فضل القرآن ومدارسته
٥٢	فضل القرآن ، وحافظ القرآن
٥٧	النجاة من عذاب القبر
٦٢	فضل ذكر الله
٦٤	مستقر الأرواح
٦٧	كلمة عن الروح
٦٩	ابن القيم والعلاقة بين الحى والميت
٧٤	إستئناس الميت بالمشيعين لجنازته
٧٦	تعلقات الروح بالبدن
٧٧	ملاحظة جديرة بالاعتبار
٧٨	فصل . المراقبة والمحاسبة